الإسراء

هدية

مجلة إسلامية شاملة

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:1)

العدد 177

ذو القعدة / ذو الحجة 1446هـ - أيار / حزيران 2025م

المشرف العـــام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحـريـر

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

تصميم ومونتاج

يوسف تيسير محمود

هيئة التحـريـر

أ. د. جمال أحمد زيد الكيلاني

أ. د. حسن عبد الرحمن السلوادي

د. صبحي محمد عبيد

د. لؤي عزمي غزاوي

أ. محمد خليل جاد الله

المراسلات: مجلة الإسراء

الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام، دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب: 20517 - القدس / ص.ب: 1862 رام الله - تلفاكس: 6262495 ـ 02 / 2348603 ـ 02

موقعنا على الإنترنت: www.darifta.ps للمراسلة على البريد الإلكتروني: israa@darifta.ps

ملحوظة: ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

القدس عاصمة فلسطين الأبدية

فهرس العدد

افتتاحية العدد

يوم الحج الأكبر وبيان حاسم من الله فيه	الشيخ محمد أحمد حسين	4

كلمة العدد

أعـــاذنا الله من وجـــوه مسـودة باسرة عليها غبرة، ترهقها قترة، تغشاها النار ويحشـرون عليـــها عمياً وبكماً وصماً	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	17

مناسبة العدد

حكم أخذ المضحي من شعره وَأَظفاره	الشيخ د. أحمد خالد شوباش	37
حكم تحديد أعداد الحجاج، وآلية توزيع المقاعد المخصصة على الـــدول	أ.د. جمال زيد الكيلاني	49
أبعاد شرعية وروحية واجتماعية للحج	أ. محمد خليل جاد الله	59

زاوية الفتاوى

أنت تسأل والمفتي يجيب	الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديـــــار الفلـسـطينية	66

فهرس العدد

عبر وعظات

مضاعفة ثواب الطاعات	الشيخ د. محمد يوسف الحاج	73
خطر الإشاعة	أ. كمال بواطنة	79

باقون

قرية (ديرأبان) المنكوبة والمهجرة سنة 1948م	أ. يوسف عدوي	85

أدبيات

اقرأ وتذكر	أ. إيمان تايه	97
قصيدة ... أيامهم تاقت إلى أحلامهم	أ. زهدي حنتولي	100

نشاطات ... ومسابقات

باقة من نشاطات مكتب المفتي العـــام ودوائر الإفتـــاء الفلسطينية في محافظات الوطن	أ. مصطفى أعرج	101
مسابقة العدد 177	أسرة التحرير	110
إجابة مسابقة العدد 175	أسرة التحرير	111

افتتاحية العدد

يوم الحج الأكبر وبيان حاسم من الله فيه

الشيخ محمد حسين/ المشرف العام

ذُكر الحج الأكبر مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: {وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} (التوبة: 3)

وقبل البدء بالحديث عن بيان يوم الحج الأكبر المشار إليه في هذه الآية الكريمة، قد يكون من المفيد والمناسب التمهيد لذلك بالتذكير ببعض الأمور المتعلقة بالحج؛ من حيث: تعريفهُ، وحكمهُ، وأَشهُرُه، ويوم الحج الأكبر وبيانه، وذلك على النحو الآتي:

تعريف الحج في اللغة والاصطلاح:

الحج لغة: بِفَتْحِ الْحَاءِ وَيَجُوزُ كَسْرُهَا، هُوَ الْقَصْدُ، حَجَّ إِلَيْنَا فُلَانٌ: أَيْ قَدِمَ، وَحَجَّهُ يَحُجُّهُ حَجًّا: قَصَدَهُ. وَرَجُلٌ مَحْجُوجٌ، أَيْ مَقْصُودٌ. هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ، وَقَال جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ: الْحَجُّ: الْقَصْدُ لِمُعَظَّمٍ.[1]

وفي القاموس المحيط هو قصد مكة للنسك، وهو حاج وحاجج، والجمع حجاج وحجيج، والحجة المرة الواحدة.[2]

وفي الاصطلاح: يعرف د. عبد الله الطيار الحج بأنه: قصد البيت الحرام في زمن

1. تاج العروس، 1 /1350.
2. القاموس المحيط، 1 /182.

مخصوص، بنية أداء المناسك؛ من طواف وسعي ووقوف بعرفة وغيرها.

أي قصد مكة المكرمة في وقت الحج، وهي أشهره المعلومة: شوال وذو القعدة وذو الحجة بنية أداء المناسك، وهي الإحرام من الميقات، والطواف والسعي، والوقوف بعرفة، وغيرها من المناسك.

وهذا التعريف يُخرج من قصد مكة في غير أشهر الحج، أو قصدها في أشهر الحج، وتنقل مع الحجاج داخل المشاعر، ولكن بغير نية الحج؛ كالباعة والموظفين والعسكريين وغيرهم ممن يتنقلون مع الحجاج داخل مكة وفي منى وعرفات والمزدلفة، لكنهم لا ينوون أداء المناسك.[1]

حكم الحج ومكانته في الإسلام:

فرض الحج -على الصحيح- سنة تسع من الهجرة، وهي سنة الوفود التي نزلت فيها سورة آل عمران، وفيها قول الله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} (آل عمران: 97)[2]

وفرض الحج على المسلم البالغ العاقل، وعَبَّرَ الْقُرْآنُ عن فرض الحج بِصِيغَةِ: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ} وَهِيَ صِيغَةُ إِلْزَامٍ وَإِيجَابٍ، وَذَلِكَ دَلِيل الْفَرْضِيَّةِ، والْقُرْآنَ الكريم يُؤَكِّدُ تِلْكَ الْفَرْضِيَّةَ تَأْكِيدًا بالغاً في قَوْله تَعَالَى: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} فَإِنَّهُ جَعَل مُقَابِل الْفَرْضِ الْكُفْر، فَأَشْعَرَ بِهَذَا السِّيَاقِ أَنَّ تَرْكَ الْحَجِّ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْمُسْلِمِ،

1. كيف يحج المسلم ويعتمر، أ.د. عبد الله بن محمد الطيار، 1 / 7.
2. فتاوى ابن جبرين في الحج، 11 /13.

وَإِنَّمَا هُوَ شَأْنُ غَيْرِهِ.[1]

وفرض الحج في العمر مرة واحدة فحسب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: (خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ، ثُمَّ قَالَ: ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ).[2]

والأمر بالحج يعني وجوبه على الفور لمن استطاع إليه سبيلاً، فإن الأمر يقتضي المبادرة، وذهب الشافعي إلى أنه على التراخي؛ لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، أخره إلى سنة عشر، لكن يجاب بأنه لم يؤخره سوى سنة واحدة، وأراد أن يطهر البيت من المشركين وحج العراة، فلما طهَّرهُ، حج في السنة التي بعدها، وعلى هذا فتجب المبادرة إلى الحج مخافة الموت، فيعد الإنسان مفرطاً بالتأخير[3].

والحج ركن من أركان الإسلام الخمسة، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ).[4]

والذي يحج حجاً مبروراً خالياً من الرفث، يرجع طاهراً من ذنوبه السالفة، لقوله،

1. الخلاصة في أحكام الحج والعمرة: 1 /141 - 142.
2. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر.
3. كتاب الحج من فتاوى إسلامية: 1 /9.
4. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي، صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس».

صلى الله عليه وسلم: (العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ).[1]

ويقول عليه الصلاة والسلام: (مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ).[2]

أشهر الحج:

يقول عز وجل: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ...}(البقرة:197)، قال بعض العلماء، ومنهم الإمام مالك، أن أشهر الحج هي: شوال وذو القعدة وذو الحجة كامل، ومن تبرير اعتبار ذي الحجة كاملاً، أن الأشهر جمع، وأقل الجمع ثلاثة.[3]

وقَالَ ابْنُ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (أَشْهُرُ الحَجِّ: شَوَّالٌ، وَذُو القَعْدَةِ، وَعَشْرٌ مِنْ ذِي الحَجَّةِ)[4]

يوم الحج الأكبر، وسبب وصفه بذلك:

اختُلف بالمراد بيوم الحج الأكبر: فقيل: هو يوم النحر، وسمي بالأكبر؛ لما في ليلته من الوقوف بعرفة، والمبيت بالمشعر الحرام، والرمي في نهاره، والنحر، والحلق، والطواف، والسعي من أعمال الحج، ويوم الحج هو الزمن، والحج الأكبر هو العمل فيه.[5]

فيوم الحج الأكبر عند بعض السلف هو يوم النحر؛ لأن الناس كانوا في يوم

1. صحيح البخاري، كتاب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها.
2. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور.
3. فتاوى عطاء في الحج، 1 /72.
4. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب قول الله تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ...} [البقرة: 197].
5. المنتقى في الحج، 1 /62.

موقف عرفة مفترقين، إذ كانت الحمس[1] يقفون بالمزدلفة، ويقف بقية الناس بعرفة، وكانوا جميعاً يحضرون منى يوم النحر، فكان ذلك الاجتماع الأكبر، ونسب ابن عطية هذا التعليل إلى منذر بن سعيد. وهذا قول علي، وابن عمر، وابن مسعود، والمغيرة ابن شعبة، وابن عباس أيضاً، وابن أبي أوفى، والزهري، ورواه ابن وهب عن مالك، قال مالك: لا نشك أن يوم الحج الأكبر يوم النحر؛ لأنه اليوم الذي ترمى فيه الجمرة، وينحر فيه الهدي، وينقضي فيه الحج، من أدرك ليلة النحر فوقف بعرفة قبل الفجر أدرك الحج.[2]

وقيل: إن الحج الأكبر هو يوم عرفة؛ لأنه يوم مجتمع الناس في صعيد واحد، وهذا يروى عن عمر، وعثمان، وابن عباس، وطاووس، ومجاهد، وابن سيرين. وهو قول أبي حنيفة، والشافعي، وفي الحديث "الحَجُّ عَرفة" فعن عبد الرحمن بن يعمر: (أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ بِعَرَفَةَ فَسَأَلُوهُ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا، فَنَادَى: الحَجُّ عَرَفَةُ، مَنْ جَاءَ لَيْلَةَ جَمْعٍ قَبْلَ طُلُوعِ الفَجْرِ فَقَدْ أَدْرَكَ الحَجَّ، أَيَّامُ

1. الأحمس: هو المتشدد في دينه. والحمس (جمع أحمس) هم قريش، وخزاعة، لنزولها مكة ومجاورتها قريشاً، وكل من ولدت قريش من العرب وكنانة، وكل من نزل مكة من قبائل العرب . فكانت الحمس قد شددوا في دينهم على أنفسهم، فكانوا إذا نسكوا لم يسلأوا سمناً، ولم يطبخوا أقطاً، ولم يدخروا لبناً، ولم يحولوا بين مرضعة ورضاعها حتى يعافه، ولم يحركوا شعراً ولا ظفراً، ولا يبتنون في حجهم شعراً ولا وبراً ولا صوفاً ولا قطناً، ولا يأكلون لحماً، ولا يلبسون إلا جديداً، ولا يخرجون إلى عرفات، يقولون: "نحن أهل الله"، ويلزمون مزدلفة حتى يقضوا نسكهم، ويطوفون بالصفا والمروة إذا انصرفوا من مزدلفة، ويسكنون في ظعنهم قباب الأدم الحمر. (تفسير الطبري، 3 /557 عن المحبر لابن حبيب: 178 - 180، ثم سيرة ابن هشام1: 211 - 216 / والطبري في التفسير رقم: 3840).

2. التحرير والتنوير، 10 /16 - 17.

مِنًى ثَلَاثَةٌ، فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ).[1]

يقول ابن عاشور: إن يوم عرفة يوم شغل بعبادة؛ من وقوف بالموقف، ومن سماع الخطبة. فأما يوم منى، فيوم عيدهم.

و{الأَكْبَر} بالجر نعت للحج، باعتبار تجزئته إلى أعمال، فوصف الأعظم من تلك الأعمال بالأكبر، ويظهر من اختلافهم في المراد من الحج الأكبر أن هذا اللفظ لم يكن معروفاً قبل نزول هذه الآية، فمن ثم اختلف السلف في المراد منه.[2]

وقد رفع الله عن المسلمين الحرج الذي كان بعض الناس من قريش وغيرهم يلحقونه بأنفسهم، عند وقوفهم بمزدلفة في الحج، فقال عز وجل: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (البقرة: 198 - 199)

يذكر الواحدي عند تفسير هذه الآيات الكريمة أن عامة المفسرين قالوا: كانت الحمس لا يخرجون من الحرم إلى عرفات، إنما يقفون بالمزدلفة، ويقولون: نحن أهل الله وسكان حرمه، فلا نخرج من الحرم، ولسنا كسائر الناس. فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات كما يقف سائر الناس، حتى تكون الإفاضة معهم منها. والناس في هذه الآية: هم العرب كلها غير الحمس.[3]

1. سنن الترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج، وصححه الألباني.
2. التحرير والتنوير، 10 /17.
3. التفسير الوسيط للواحدي، 1 /304.

بيان يوم الحج الأكبر:

يقول تعالى في محكم التنزيل: {وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ...} (التوبة:3)

يبين د. عبد الكريم الخطيب أن المراد بالأذان الإعلام، والإظهار للأمر بصورة كليّة كاشفة.. ويوم الحج الأكبر، هو يوم عرفة، وقيل: يوم النحر، وفي كلا اليومين تتم معظم أعمال الحج.. ووصف الحجّ بأنه الحج الأكبر، تعظيماً له وإلفاتاً إلى تلك الظاهرة الإنسانية التي تتجلى فيه، باجتماع هذه الحشود الحاشدة، التي تجمع الناس من كل أمة وقبيل.. يأتون من كل فج عميق.. فإذا احتوتهم دائرة الحرم كانوا على هيئة واحدة، في ملابس الإحرام.. الأمر الذي لا تشهد العين مثله إلا في هذا الموطن! وقد أعلن هذا الأذان على الحجيج في موسم الحج، سنة تسع من الهجرة، في يوم عرفة أو يوم النحر.

وكان موسم الحج في العام التاسع الهجري، مجتمعاً للمسلمين والمشركين، حيث يقيم المؤمنون حجّهم على الوجه الذي بيّنه لهم الإسلام، على حين يقيم المشركون حجّهم على ما كانوا عليه في الجاهلية، وكان من عادتهم أن يطوفوا بالبيت عراة، وقد آثر رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، ألا يشهد هذا المشهد من المشركين، فأقام أبا بكر مقامه في هذا الموسم، وكان ذلك في السنة التاسعة من الهجرة، فلما كانت السنة العاشرة وطهّر اللّه المسجد الحرام من الشرك والمشركين، حجّ النبي، صلى الله عليه وسلم، حجة الوداع.

وما كاد أبو بكر ينفصل عن المدينة، في طريقه إلى البلد الحرام، حتى تلقى رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، من ربّه هذه الآيات الأولى من سورة براءة.. فجعل إلى عليّ بن أبي طالب أن يؤدي عنه هذا الأمر، وأن يؤذّن به في الناس يوم الحجّ الأكبر.. فلحق بأبي بكر في بعض الطريق قبل أن يدخل مكة، وأقام أبو بكر للمسلمين حجّتهم.. وأذّن عليّ في الناس بهذا الإعلان القرآني من سورة براءة.[1]

إضافة الأذان في الآية الكريمة إلى الله والرسول، صلى الله عليه وسلم:

أضيف الأذان في الآية الكريمة إلى الله ورسوله دون المسلمين؛ لأنه تشريع وحكم في مصالح الأمة، فلا يكون إلا من الله على لسان رسوله، صلى الله عليه وسلم. فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، (وَقَفَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الجَمَرَاتِ فِي الحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ بِهَذَا، وَقَالَ: هَذَا يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ، فَطَفِقَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، وَوَدَّعَ النَّاسَ، فَقَالُوا: هَذِهِ حَجَّةُ الوَدَاعِ).[2]

المخاطبون ببيان يوم الحج الأكبر:

المقصود بالناس المطلوب إعلامهم ببيان يوم الحج الأكبر، الناس جميعهم الذين ضمهم الموسم، ومن يبلغه ذلك منهم: مؤمنهم ومشركهم؛ لأن هذا الأذان مما يجب أن يعلمه المسلم والمشرك، إذ إن حكمه يلزم الفريقين.

1. التفسير القرآني للقرآن، 5 / 698 - 699.
2. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى.

وقد ورد الخطاب في القرآن الكريم بصيغة: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} عشرين مرة في القرآن الكريم، وأربع مرات بصيغة: {يَا بَنِي آدَمَ}، وتسعاً وثمانين مرة بصيغة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} ومن دلالات تنوع الخطاب القرآني للخلق على هذا النحو، أن الدعوة الإسلامية ينبغي أن توجه للخلق كافة، دون حصرها بالمؤمنين، على الرغم من الحاجة التفصيلية لهم بشأنها فيما يخص استقامتهم على دين الله، في علاقتهم مع ربهم وأنفسهم والناس، العدو منهم والصديق.

فالقرآن الكريم أخبر عن بيان إعلامي أمر الله إبلاغه للناس يوم الحج الأكبر، وقد خاض العلماء والمفسرون في التفاصيل المتعلقة بهذا البيان من حيث زمنه ومضمونه ودلالاته، اتفقوا على بعضها، واختلفوا حول بعضها الآخر، والذي يهمنا هنا بيان يوم الحج الأكبر وأبعاده ومعانيه ومحاوره العقائدية والتعبدية والسياسية والاقتصادية المتضمنة في الإشارات والدلالات الموجودة في آيات القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، حسب بيانها من جهة العلماء الأفاضل، خلال تفسيرهم لهذه الآية الكريمة، واختير الوقوف عند تأويلات أحد هؤلاء العلماء، وهو الطاهر بن عاشور، التي بينها خلال تأملاته وتدبره لهذه الآية الكريمة، فبين في الجزء العاشر من كتابه التحرير والتنوير (من ص: 16 - 19) قضايا عدة، منها:

مضمون البيان الذي طلب إعلام الناس به يوم الحج الأكبر:

أرسل الرسول، صلى الله عليه وسلم، أبا بكر الصديق، رضي الله عنه، أميراً على المسلمين الذين خرجوا لأداء الحج عام تسعة للهجرة، وأمره أن يعلن بياناً للناس يوم الحج الأكبر، أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ هذا الْعَامِ مُشْرِكٌ، وأن لا يطوف بالبيت عُرْيان، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: (بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِيمَنْ يُؤَذِّنُ يَوْمَ النَّحْرِ بِمِنًى: لاَ يَحُجُّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، وَلاَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَيَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ يَوْمُ النَّحْرِ، وَإِنَّمَا قِيلَ الأَكْبَرُ مِنْ أَجْلِ قَوْلِ النَّاسِ: الحَجُّ الأَصْغَرُ، فَنَبَذَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّاسِ فِي ذَلِكَ العَامِ، فَلَمْ يَحُجَّ عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ الَّذِي حَجَّ فِيهِ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُشْرِكٌ)[1]

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: (بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الحَجَّةِ فِي مُؤَذِّنِينَ بَعَثَهُمْ يَوْمَ النَّحْرِ يُؤَذِّنُونَ بِمِنًى، أَنْ لاَ يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ وَلاَ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: ثُمَّ أَرْدَفَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبَرَاءَةَ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ يَوْمَ النَّحْرِ فِي أَهْلِ مِنًى بِبَرَاءَةَ، وَأَنْ لاَ يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، وَلاَ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ).[2]

فقبيل يوم الحج الأكبر في السنة التاسعة للهجرة نزلت مقدمة سورة التوبة، بما فيها من أحكام عقائدية وتعبدية وتنظيمية للعلاقة مع غير المسلمين؛ معاهدهم ومحاربهم، فأرسل الرسول، صلى الله عليه وسلم، علي بن أبي طالب، ليلحق بأبي

1. صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب كيف ينبذ إلى أهل العهد.
2. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة براءة، باب قوله: {فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ....} [التوبة: 2].

بكر، رضي الله عنه، ليبلغها للناس، والتي فتحت بالبراءة من المشركين، ونظمت كثيراً من أوجه العلاقة بين المسلمين وغيرهم، ممن لهم عهود معهم، ومن ليس لهم عهود، وصدر الأمر الإلهي بهذا الإبلاغ في السورة نفسها، ويبين الطاهر بن عاشور أن المسلمين أمروا بأن يعلموا المشركين بهذه البراءة، لئلا يكونوا غادرين، والله تعالى يقول: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} (الأنفال:58).

وقوله: {أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} يتعلق بـ {وَأَذَانٌ} بحذف حرف الجر- وهو باء التعدية- أي إعلام بهذه البراءة المتقدمة في قوله: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ} (التوبة:1)، فإعادتها هنا لأن هذا الإعلام للمشركين المعاهدين وغيرهم، تقريرٌ لعدم غدر المسلمين، والآية المتقدمة إعلام للمسلمين.

وجاء التصريح بفعل البراءة مرة ثانية دون إضمار ولا اختصار، بأن يقال: وأذان إلى الناس بذلك، أو بها، أو بالبراءة؛ لأن المقام مقام بيان وإطناب لأجل اختلاف أفهام السامعين فيما يسمعونه، ففيهم الذكي المميز وما دونه، وفي الإطناب والإيضاح قطع لمعاذيرهم واستقصاء في الإبلاغ لهم.

وعطف {وَرَسُولِهِ} بالرفع، عند القراء كلهم؛ لأنه من عطف الجملة، لأن السامع يعلم من الرفع أن تقديره: ورسوله بريء من المشركين، ففي هذا الرفع معنى بليغ من الإيضاح للمعنى، مع الإيجاز في اللفظ، وهذه نكتة قرآنية بليغة.(*)

* التحرير والتنوير، 10 /16 - 19بتصرف.

حاجة المسلمين اليوم إلى العمل بروح بيان يوم الحج الأكبر:

لبيان يوم الحج الأكبر أبعاد ومحاور عقائدية وتعبدية تركز محورها حول البراءة من المشركين، وأن الأمر لله أولاً وأخيراً، ومن قبل ومن بعد، وربط أمور الحياة بالإيمان بالله واليوم الآخر، وصون المقدسات من التدنيس والآثام، فلا يدخل البيت مشرك، ولا يطوف فيه عريان.

ومن الأبعاد السياسية والاقتصادية التي تضمنها بيان يوم الحج الأكبر: التأكيد عملياً على وحدة المسلمين من خلال فرض التقاء حجاج بيت الله الحرام على صعيد واحد، بلباس واحد، يرددون شعارات واحدة، ويتحركون إلى أماكن مخصصة في زمن واحد، ويتحللون من إحرامهم في ظرف واحد، وبشروط محددة، وفي ملتقى حجاج بيت الله الحرام على صعيد واحد، دلالة وأي دلالة، وأن العقوبات الاقتصادية التي تهدف للتجويع من أجل التركيع، يتملص منها المؤمنون بما هدي إليه النبي، صلى الله عليه وسلم، وصحبه الكرام، رضي الله عنهم، حيال الإفقار المتوقع فرضه عليه وإياهم، كعقوبة جراء تقيدهم بالعمل بما أنزل إليهم من ربهم، فإن الله له بالمرصاد، مصداقاً لقوله جل في علاه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (التوبة:28)

وما أحوج المسلمين اليوم -كحاجتهم في كل زمان وحين- إلى تدبر معاني بيان يوم الحج الأكبر ودلالاته، وقد أمر الله بإعلام الناس به، يوم حج أبو بكر الصديق بالمسلمين، وتبعه علي بن أبي طالب، بما نزل من سورة التوبة الفاضحة الكاشفة، ليبلغها للناس فيه، وما جاء العام التالي إلا وحكم الله ينفذ في بيته الحرام، فلم يعد يطوف به مشرك ولا عريان، ومن ثم حج الرسول، صلى الله عليه وسلم، بالمسلمين، فقيرهم وغنيهم، عربهم وعجمهم، والمسلمون مطالبون بأخذ المواقف الحاسمة من قضاياهم المصيرية والدينية، بشجاعة وإيمان ويقين، فالأرض لله يورثها عباده الصالحين، يستخلفهم فيها، ويمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وما عليهم إلا أن يكونوا مع الله في سرهم وعلنهم ونجواهم، ليصلح حالهم، ويبدل خوفهم أمناً، ويرفع مقته عنهم وغضبه، فالعبرة المرادة من أداء الحج تتعدى الأداء الظاهر لمناسكه وشعائره، لتشمل فقهها وتدبر مغازيها ومعانيها، والعمل بروحها خلال أداء الحج وبعده، وفق شرع الله الذي أنزله هدى للعالمين، وفيه من الرحمة والبشرى والنذير ما فيه، سائلين الله العلي القدير أن يهدينا صراطه المستقيم، وأن يوفقنا لنكون ممن رضي عنهم وأرضاهم، ووعدهم إِنْ اتبعوا هداه فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

أعاذنا الله من وجوه مسودة باسرة عليها غبرة، تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ، تغشاها النار ويُحشرونُ عليها عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله / رئيس التحرير

ذُكِرتِ الوجوهُ في القرآن الكريم في سياق المدح والذم وغيرهما، في العديد من السور والآيات القرآنية الكريمة، قورن في كثير من بين أصحابها، وهم غالباً قسمان متقابلان، يمثل أحدهما الطيبين الخيرين، المُثنى عليهم من رب العالمين، ويمثل الآخر الخبيثين والكافرين والفاسقين والخاسرين، وغالباً ما تتعلق أوصاف أصحاب الوجوه وأحوالهم، بما ستكون عليه في الآخرة، التي يفصل الله فيها بين خلقه، فيجازي المحسن بالإحسان، والمسيء بما يستحق، ولتعذر الإحاطة بتفاصيل صفات الوجوه وأحوال أصحابها في هذا المقام، وتأسياً بمنهج الصحابي الجليل أمين سر النبي، صلى الله عليه وسلم، حذيفة بن اليمان، رضي الله عنه، الذي قال: (كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي)(*)، فسيُحصرُ الحديث هنا حول بعض صفات الوجوه الخاصة بالمذمومين من الناس، وما يلحق بها من عقاب يوم القيامة، أو خزي في الدنيا، مع التركيز على أسباب استحقاقها، في ضوء ما تضمنته الآيات القرآنية بالخصوص، عسى أن يهدينا

* صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

الله لتجنب التلبس بمعتقداتهم الباطلة، وسلوكهم الشائن، مع أخذ الحذر من الانخداع بهم، والشاعر يقول:

وتغرنا بعض الوجوه بحسنها ولربما بعـــــض المظاهر من ورق

مـــــا قيمة الوجه الجميل إذا طغى في الحسن وانعدم الخلق؟!

المراد بالوجوه أصحابها:

ينبغي التنبيه بداية إلى أن الْمُرَادَ بِالْوُجُوهِ أَصْحَابُهَا؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ فِي الْقُرْآنِ وَصْفُ الْوُجُوهِ بِالْعَلَامَةِ، كَقَوْلِهِ تعالى: {...سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ...}(الفتح:29)، وَقَوْلِهِ سبحانه: {وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ...}(محمد:30)، ويقول تعالى: {يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ}(الرحمن:41)[1]

وذكر الوجوه خاصة لشرفها من الإنسان، وأنها موضع حواسه، وهو أحرص على الدفاع عنه، ثم ذكر الظهور ليبين عموم النار لجميع أبدانهم.[2]

وفيما يأتي وقفات مختارة مع عينة من الوجوه المذمومة، في ضوء ذكرها في القرآن الكريم:

وجوه مسودة:

يوم القيامة هو المآل الذي تُكشف فيه الأوراق، وتظهر النتائج، التي تسر الناجين الفائزين، وتحزن المسيئين الخاسرين وتبكتهم، ومن الأوصاف القرآنية الكثيرة لحال الخلق فيه تبعاً لذلك، بياض وجوه، واسوداد أخرى، فيقول جل شأنه: {يَوْمَ تَبْيَضُّ

1. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 8 /512.
2. المحرر الوجيز، 4 /101.

وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} (آل عمران: 106)

يبين الطاهر بن عاشور أن في تعريف هذا اليوم بحصول بياض وجوه، وسواد وجوه فيه، تهويلاً لأمره، وتشويقاً لما يرد بعده من تفصيل أصحاب الوجوه المبيضة، والوجوه المسودة: ترعيباً لفريق، وترغيباً لفريق آخر.[1]

فأهل الشقاوة ممن كذبوا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وعصوا أمره، تَسْوَدُّ وجوههم يوم القيامة، ويقال لهم توبيخًا: أكفرتم بعد إيمانكم؟! فاخترتم الكفر على الإيمان، فذوقوا العذاب بسبب كفركم.[2]

ويقال: إن ذلك عند قراءة الكتاب، إذا قرأ المؤمن كتابه، فرأى فيه حسنات، استبشر وابيض وجهه، وإذا قرأ الكافر والمنافق كتابه، فرأى فيه سيئات اسود وجهه، ويقال: إن ذلك عند الميزان إذا رجحت حسناته ابيض وجهه، وإذا رجحت سيئاته اسود وجهه.[3]

فيتحسر الخاسرون على ما وقع منهم في الدنيا، ويفتضحون في ذلك الموقف العظيم {فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ} ويقال لهم على ملأ الناس: أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ باللّه يوم أعطيتموه العهد والميثاق في عالم الذر {فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} فيه ولنقضكم العهد الذي عاهدتم عليه.[4]

1. التحرير والتنوير، 3 /184.
2. التفسير الميسر، 1/ 405.
3. بحر العلوم، 1 /261.
4. بيان المعاني، 1 /289.

وفي آية قرآنية أخرى، يقول سبحانه بحق هؤلاء: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ...} (الزمر:60) ويحتمل أن يراد سواد اللون حقيقة، أو يكون عبارة عن شدة الكرب.[1]

يبين عبد الحق بن عطية الأندلسي أنه عبر بالسواد عن أن يراد به وجوههم، وغالب همهم، وظاهر كآبتهم.[2]

ومن الصور التقريبية لهذه المشاهد في الدنيا وجوه الطلبة وذويهم يوم إعلان نتائج امتحاناتهم العامة مثلاً، فترى الناجحين المتفوقين فرحين مستبشرين، تملأ الابتسامات العريضة وجوههم، أما المخفقون فيتمنى بعضهم لو تنشق الأرض وتبلعه من سوء نتيجته وخيبة أمله، وإذا كان الحال كذلك حيال أمر دنيوي عابر، فكيف بنتيجة الجزاء الخالد في الآخرة؟؟

ومن أحوال اسوداد الوجوه المذكورة في القرآن الكريم، تلك التي صنعها أصحابها، بسبب مواقف معينة، كحال وجوه المبشرين بالإناث بناء على ثقافتهم الجاهلية، وقد ذكر القرآن الكريم أولئك في سورتي النحل والزخرف، فقال عز وجل: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ}(النحل:58)؛ أي صار وجه المُبَشَّر بمولودة أنثى متغيراً من الحزن والخجل {وَهُوَ كَظِيمٌ} أي مكروباً مغموماً من الحزن، يتردد حزنه في جوفه.[3]

1. التسهيل لعلوم التنزيل، 2 /473.
2. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 4 /606.
3. بحر العلوم، 2 /278.

وقيل إن بعض العرب هجر زوجته؛ لأنها جاءت ببنت، فخاطبته بقولها:

ما لأبي حـــمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا

غضبان أن لا نلد البنينا ليس لنا مـــن أمرنا ماشينا

وإنما نأخذ مـــا أعطينا حكمة رب ذي اقتدار فينا [1]

وفي هذا السياق يخبر الله عن جهل المشركين وظلمهم وافترائهم على الله الكذب، فيقول تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ} (الزخرف:17)، حيث قالوا عن الملائكة العباد المقربين إنهم بنات الله {وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ} أي لأنفسهم الذكور، حتى إنهم يكرهون البنات كراهة شديدة، {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا} من الغم الذي أصابه {وَهُوَ كَظِيمٌ} أي كاظم على الحزن والأسف بسبب ما بشر به.[2]

أُغْشِيَتْ وجوه قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً:

وصف القرآن الكريم اسوداد وجوه مرتكبي السيئات يوم القيامة في آية أخرى بتعبير آخر، فقال عز وجل: {وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا...}(يونس:27)، والمراد بقطع من الليل مظلماً سواد الليل مظلماً، ويقال بعضاً من الليل، وساعة منه.[3]

ويبين الطاهر بن عاشور أن القطع جمع قطعة، وهي الجزء من الشيء، سمي قطعة لأنه يقتطع من كل غالباً، وهو اسم للجزء من زمن الليل المظلم، قال تعالى: {فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ}(هود: 81).

1. بيان المعاني، 1 /181.
2. تفسير السعدي، 1 /442.
3. بحر العلوم، 2 /113.

وقوله: {مُظْلِمًا} حال من الليل. ووصف الليل وهو زمن الظلمة بكونه مظلماً لإفادة تمكن الوصف منه، فالمراد من الليل الشديد الإظلام باحتجاب نجومه، وتمكن ظلمته. شبهت قترة وجوههم بظلام الليل.[1]

وجوه عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ:

وصفت وجوه الكفرة الفجرة يوم القيامة بأن عليها غبرة، ترهقها قترة، فقال عز وجل: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ}(عبس:40 - 42) والمراد بالغبرة الغُبار، والقترة ظلمة وكآبة، وكسوف وسواد، قال ابن عباس: يغشاها ذلّة، وقال ابن زيد: الفرق بين الغبرة والقترة أن القترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء، والغبرة ما كان أسفل في الأرض.[2]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ...).[3]

يبين العيني أن المراد بقترة سواد الدخان، ولا يرى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه.[4]

هذا حال الخائبين في الآخرة الذي يقابله حال المحسنين، الذين لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة، مصداقاً لقوله عز وجل: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (يونس: 26)

1. التحرير والتنوير، 11 /66.
2. الكشف والبيان، 10 /135.
3. صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: 125].
4. عمدة القاري، 23 /205.

وجوه تغشاها النار:

وصف القرآن الكريم وجوه أصحاب النار يوم القيامة بوصف صعب لمن تدبر فيه، فقال تعالى: {سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ} (إبراهيم:50)

يبين د. محمد حجازي أن في هذا إيلاماً لهم شديداً؛ لأمور:

1 - كونهم في الأغلال مع بعض {فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ} (الشعراء:94).

2 - كون قمصهم من القطران، والمراد أن جلودهم تطلى بالقطران حتى تسرع النار في الاشتعال، مع سواد البشرة، ونتن الرائحة.

3 - كون وجوههم تعلوها النار وتغشاها، وهي محط كبرهم في الدنيا {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ}(القمر: 48)

كل ذلك ليجزي اللّه كل نفس ما كسبت؛ فمن يعمل صالحاً يجز به، ومن يعمل سوءاً يجز به، جزاء وافياً، إن اللّه سريع الحساب، وشديد العقاب.[1]

فالنَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَغْشَى وُجُوهَ الْكُفَّارِ فَتُحْرِقُهَا، وَأَوْضَحَ الله ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ، كَقَوْلِهِ تعالى: {تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ} (المؤمنون:104) إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.[2]

وفي سياق قرآني مشابه يقول تعالى: {لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ} (الأنبياء: 39) فإذا حل بهم العذاب يوم القيامة فلا يقدرون على ردّ شيء منه ولا تأخيره.[3]

---

1. التفسير الواضح، 2 /270.
2. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 2 /250.
3. بيان المعاني، 4 /307.

وجوه باسرة:

وجوه الكافرين الجاحدين يظهر عليها العبوس والارتعاب من العذاب، وبهذا الشأن يقول جل ذكره: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ} (القيامة:24 - 25) ومعنى باسرة؛ أي عابسة، تظهر عليها الكآبة، والبسور أشد من العبوس، {تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ} أي مصيبة قاصمة الظهر، والظن هنا يحتمل أن يكون على أصله، أو بمعنى اليقين.[1]

فوجوه الأشقياء يوم القيامة عابسة كالحة، تتوقع أن تنزل بها مصيبة عظيمة، تقصم فَقَار الظَّهْر.[2]

طمس الوجوه وردها على أدبارها ولعنها:

ذكر القرآن طمس الوجوه، وتغيير معالمها، فقال عز وجل: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا...} (النساء:47)

الخطاب الموجه للذين أوتوا الكتاب في هذه الآية الكريمة، قصد بالْوُجُوه فيه حسب قول بعض المفسرين سُكْنَاهُمْ بِالْمَدِينَةِ، وَطَمْسُهَا تَغَيُّرُ مَعَالِمِهَا، وَرَدُّهُمْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ، أَيْ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ الَّتِي جَاءُوا مِنْهَا أَوَّلًا، حِينَمَا خَرَجُوا مِنَ الشَّامِ إِلَى الْمَدِينَةِ، انْتِظَارًا لِمُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَكَاهُ أَبُو حَيَّانَ، وَحَسَّنَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ.[3]

وقيل: إن المراد بطمس الوجوه هنا هو محو ما فيها من عين وأنف وحاجب وفم،

1. التسهيل لعلوم التنزيل، 3 /259.
2. التفسير الميسر، 10 /329.
3. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 8 /17.

والطمس إذهاب الأثر. وردها على أدبارها، فتصير كأقفائها، والقفا هو دبر الوجه.[1]

فالصورة هنا تتمثل بجعل وجوههم في أقفيتهم، فيمشون القهقرى، أو يُطْمس عنهم الهدى فيرتدوا إلى الضلال، ولا يكون لهم فلاح أبداً، فالصورة فيها إنذار بمسخ مادي أو معنوي.[2]

الملائكة يَضْرِبُونَ وجوههم وَأَدْبَارَهُمْ:

حذر الله من حال تضرب فيه الملائكة وجوه الذين كفروا بعد موتهم، فقال تعالى:{وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} (الأنفال:50)

يبين ابن عاشور أن المراد بالَّذين كفروا هنا الَّذين قتلوا يوم بدر، وتكون هذه الْآيَة من تمام الخبر عن قوم بدر، ويجوز أن يكون المراد بهم الكافرين جميعهم، حملًا للموصول على معنى العموم، فتكون الآيَة اعتراضًا مستطردًا في خلال القصة بمناسبة وصف ما لقيه المشركون في ذلك اليوم، الَّذي عجّل لهم فيه عذاب الموت.

والْإتيان بالمضارع هنا مكان الماضي لقصد استحضار تلك الحالة العجيبة، وهي حالة ضَرب الوجوه والأَدبار، ليخيّل للسَّامع أَنَّه يشاهد تلك الحالة، وإِن كان المراد المشْركين حيثما كانوا، كان التَّعْبير بالْمضارع علَى مقتضى الظَّاهر.

وجواب {لَوْ} محذوف، تقديره: لرأيت أمرًا عجيبًا. والتوفّي: الإماتة، سميت توفّيًا لأَنَّهَا تنهي حياة المرء، أو تستوفيها {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}(السَّجْدَة: 11).

1. التبيان في تفسير غريب القرآن، 1 /168.
2. التفسير الحديث، 1 /4843.

وجملة: {يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} في موضع الحال إن كان المراد من التّوفي قبض أرواح المشركين يوم بدر، حين يقتلهم المسلمون، أَي: يزيدهم الملائكة تعذيبًا عند نزع أرواحهم، وهي بدل اشتمال من جملة: {يَتَوَفَّى} إِن كان المراد بالتّوفّي توفِّيًا يتوفّاه الملائكة الكافرين.[1]

وفي سورة محمد يقول عز وجل: {فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ*ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}(محمد:27 - 28)

تذكر الوجوه والأدبار للتنكيل بهم وتخويفهم؛ لأن الوجوه أعز الأعضاء على الناس، كما قال عباس بن مرداس: نعرض للسيوف إذا التقينا ... وجوهاً لا تُعرَّضُ لِلطِعانِ

ولأن الأدبار يأنف الناس من ضربها؛ لأن ضربها إهانة وخزي، ويسمى الكسع.[2]

فكيف يكون حال هؤلاء إذا توفّتهم الملائكة؟ أي قبض ملك الموت وأعوانه أرواحهم حال كونهم ضاربين وجوههم وأدبارهم.

وما تضمنته هذه الْآية الكريمة من كون الملائكة يتوفون الكفّار وهم يضربون وجوههم وأدبارهم، جاء موضّحًا في مواضع أُخر من كتاب اللَّه، كقوله تعالى في سورة الْأَنْعَام: {...وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} (الأنعام:93)

فقوله: باسطو أيديهم أي بالضّرب المذكور، فالضرب وقت الموت واقع بسبب أنهم اتَّبعوا ما أسخط اللَّه؛ أَي أَغضبه من الكفر به، وطاعة الكفّار الْكارهين لما نزَّله. [3]

1. التحرير والتنوير، 10 /40.
2. التحرير والتنوير، 17 /52.
3. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 7 /382.

لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ:

أشار القرآن الكريم إلى السوء الذي سيظهر على وجوه بني إسرائيل عند مجيء وعد إفسادهم الثاني، المشار إليه في الآية الرابعة من سورة الإسراء، فقال تعالى بشأن هذا السوء: {... فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا} (الإسراء:7)

يعني إذا أفسدوا في المرة الأخيرة بعث الله عليهم أولئك العباد للانتقام منهم، فالآخرة صفة للمرة، ومعنى {لِيَسُوءُوا} يجعلونها تظهر فيها آثار الشر، واللام لام كي، وهي تتعلق (ببعثنا) المحذوف لدلالة الأول عليه، وقيل هي لام الأمر.[1]

ومما قيل في معنى: {لِيَسُوءُوا} أي ليجعلوا المساءة بادية على وجوههم من الحزن والقهر.[2]

وخصت المساءة بالوجوه، والمراد أصحاب الوجوه، لما يبدو عليها من أثر الحزن والكآبة.[3]

وأشار سبحانه في سورة الملك إلى حالة أخرى من حالات السوء، الذي ينتاب وجوه الذين كفروا حين يواجهون الحقيقة التي كانوا يتنكرون لها، فقال عز وجل: {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ}(الملك:27)

يبين الطاهر بن عاشور أن الزُلفة بضم الزاي: اسم مصدر زلف، إذا قرب، وهذا إخبار بالمصدر للمبالغة؛ أي رأوه شديد القرب منهم؛ أي أخذ ينالهم.

1. التسهيل لعلوم التنزيل، 2 /100.
2. التفسير الحديث، 1 /1889.
3. زاد المسير في علم التفسير، 4 /146.

و{سِيئَتْ} بني للنائب؛ أي ساء وجوههم ذلك الوعد، بمعنى الموعد، وأسند حصول السوء إلى الوجوه لتضمينه معنى كلحت، أي سوء شديد تظهر آثار الانفعال منه على الوجوه.[1]

وجاء في التفسير الحديث أن هذه الآية جاءت في معرض توكيد تحقيق وعد اللّه، ووصف حالة الكفار حينئذ، فلسوف يرون تحقيق هذا الوعد أقرب مما يظنون، وحينئذ تتجهّم وجوههم هلعاً من العاقبة، و يقال لهم هذا هو مصداق وعد اللّه الذي كنتم تنكرونه وتتعجلونه، تعجّل الساخر الجاحد.[2]

يُحْشَرُونَ على وجوههم إِلَى جَهَنَّمَ:

من صور عذاب أهل النار يوم القيامة، أنهم يحشرون إليها على وجوههم، مصداقاً لقوله تعالى: {الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا} (الفرقان: 34)، يبين الزحيلي أنهم يساقون ويسحبون على وجوههم، أي مقلوبين، والمراد بـ{شَرٌّ مَكَانًا} جهنم، {وَأَضَلُّ سَبِيلًا} أي أبعد عن الحق طريقاً من غيرهم، وهو كفرهم. فأولئك المشركون المفترون على رسول اللّه، صلّى اللّه عليه وسلم، يسحبون على وجوههم إلى جهنم إذلالاً وخزياً وهواناً، ويساقون إليها بالسلاسل والأغلال، هم شَرٌّ مكاناً، وهو جهنم من أهل الجنة، وأضل سبيلاً وطريقاً عن الحق، والمقصود منه الزجر عن طريقهم، ولا يراد من ذلك المفاضلة، وإنما بيان سوء حال أهل النار، وحسن حال أهل الجنة، ولفت نظر الكفار إلى أن مكانهم شر من مكان المؤمنين،

1. التحرير والتنوير، 29 /47.
2. التفسير الحديث، 1 /3279.

وسبيلهم أضل من سبيل المسلمين.(*)

يحشرون عليها عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً:

أوضح الله جل جلاله أن الضالين يحشرون على وجوههم عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً، فقال تعالى: {وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا}.(الإسراء:97)

يبين أبو الحسن الماوردي أن في معنى حشرهم على وجوههم يوم القيامة وجهين:

أحدهما: أن ذلك عبارة عن الإسراع بهم إلى جهنم، من قول العرب: قدم القوم على وجوههم؛ إذا أسرعوا.

الثاني: أنهم يسحبون يوم القيامة على وجوههم إلى جهنم، كما يُفعل في الدنيا بمن يبالغ في هوانه وتعذيبه.

وفي قوله تعالى: {عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا} وجهان:

أحدهما: أنهم حشروا في النار عُمي الأبصار، بُكم الألسن، صُمّ الأسماع، ليكون ذلك زيادة في عذابهم، ثم أبصروا، لقوله تعالى: {وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا} (الكهف: 53)

وتكلموا، لقوله تعالى: {وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا} (الفرقان:13)، وسمعوا، لقوله تعالى: {إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا} (الفرقان: 12)

* التفسير المنير، 19 /56 - 60.

وقال مقاتل بن سليمان: بل إذا قال لهم: {قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ} (المؤمنون:108)، صاروا عمياً لا يبصرون، صُمّاً لا يسمعون، بكماً لا يفقهون.

الثاني: أن حواسهم على ما كانت عليه، ومعناه عُمْيٌ عما يسرّهم، بكم عن التكلم بما ينفعهم، صم عما يمتعهم، قاله ابن عباس والحسن.[1]

وأشار سبحانه إلى هذا المآل الصعب في سورة الملك، فقال عز وجل: {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ}(القمر: 48)؛ أي أن المجرمين يوم القيامة يلحق بهم العذاب الأليم، والنار التي تتسعر بهم، وتشتعل في أجسامهم، حتى تبلغ أفئدتهم، وسحبهم إلى النار على وجوههم التي هي أشرف ما بهم من الأعضاء، وألمها أشد من ألم غيرها، فيهانون بذلك ويخزون، ويقال لهم: {ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ} أي: ذوقوا ألم النار وأسفها وغيظها ولهبها.[2]

وجوه تُشوى بماء كالمهل:

من صور العذاب الذي يصيب وجوه الظالمين يوم القيامة، أنها تُشوى بماء مغلي، يشبه الزيت المحمى، أو النحاس المذاب، رداً على استغاثتهم لما يحاط بهم سرادق النار، مصداقاً لقول رب البرية: {...إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا}(الكهف: 29)؛ أي وإن استغاثوا من شدة العطش فطلبوا الماء، أُغيثوا بماء شديد الحرارة، كالنحاس المذاب، أو كعكر الزيت المحمى، يشوي وجوههم إذا قَرُب منهم من شدة حره.

1. تفسير الماوردي، النكت والعيون، 3 /275.
2. تفسير السعدي، 1 /827.

{بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} أي بئس ذلك الشراب الذي يُغاثون به، وساءت جهنم منزلاً ومقيلاً يرتفق به أهل النار.[1]

وجوه تلفحها النار:

صور الله نوعاً من أنواع عذاب أهل النار، وهي تلفح الوجوه، حسب ما جاء في قوله عز وجل:{تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ} (المؤمنون:104) يبين الشوكاني أن اللفح الإحراق، يقال لفحته النار إذا أحرقته، ولفحته بالسيف: إذا ضربته، وخص الوجوه؛ لأنها أشرف الأعضاء، والكالح الذي قد تشمرت شفتاه، وبدت أسنانه.[2]

كبت وجوههم فِي النَّارِ:

من صور عذاب أهل النار يوم القيامة، أن وجوههم تكب في النار، مصداقاً لقوله تعالى: {وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (النمل:90)

{فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ} بأن قُذفوا فيها على وجوههم غير مبال بهم، فيدفعون دفعاً من الوراء إلى الأمام، إهانة لهم، وتحقيراً لشأنهم، كما تطرح الزبالة، تكفأ كفئاً؛ لأن من يطرحها لا ينظر إليها، وعبر بالوجه عن سائر الجسد لهذا المعنى، ولأن الوجه أول ما يواجه النار، ويقال لهؤلاء حين يقذفون في النار تبكيتاً لهم، وجواباً لصراخهم المحشو بالأعذار الكاذبة، والوعود المخلفة: {هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا} جزاء {مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} في الدنيا.[3]

1. صفوة التفاسير، 2 /151.
2. فتح القدير، 3 /715 - 718.
3. بيان المعاني، 1 /6.

تُقَلَّبُ وجوههم فِي النَّارِ:

هناك صورة أخرى للعذاب الذي سيصيب أهل النار، أن وجوههم تقلب فيها، مصداقاً لقوله تعالى: {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ...} (الأحزاب: 66)

وتقليب وجوههم تصريفها في جهة النار، كما تدور البضعة في القدر إذا غلت، من جهة إلى جهة، أو تغيرها عن أحوالها.[1]

ويقال: {تُقَلَّبُ} يعني تجدد، كقوله: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا} (النساء:56)[2]

الانقلاب على الوجه:

بعض المبتلين بالشدائد والصعاب ينقلبون على وجوههم، ومن هؤلاء الذين يعبدون الله على حرف، حسب قوله عز وجل فيهم: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}(الحج:11)

أي من الناس من يرتد ويرجع إلى الكفر، كأنه تنكس بوجهه إلى أسفل، أو انقلب على جهته التي كان عليها.[3]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} [الحج: 11]، قَالَ: (كَانَ الرَّجُلُ يَقْدَمُ المَدِينَةَ، فَإِنْ وَلَدَتِ امْرَأَتُهُ غُلاَمًا، وَنُتِجَتْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينٌ صَالِحٌ، وَإِنْ لَمْ تَلِدِ امْرَأَتُهُ وَلَمْ تُنْتَجْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينُ سُوءٍ).[4]

1. التسهيل لعلوم التنزيل، 2 /380.
2. بحر العلوم، 3 /71.
3. البحر المديد، 4 /595.
4. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة الحج، باب {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} [الحج: 11]....

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى الإِسْلاَمِ، فَأَصَابَهُ وَعْكٌ، فَقَالَ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى، ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى، فَخَرَجَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: المَدِينَةُ كَالكِيرِ، تَنْفِي خَبَثَهَا، وَيَنْصَعُ طِيبُهَا)[1]

يبين د. عبد الكريم الخطيب أن المنقلب على وجهه هنا هو الذي يعطي الإيمان ظهره، ويتنكّر لله، وينسى نعمته عليه، وإحسانه إليه، وهذا نفاق مع اللّه، أقبح وجهاً، وأشد نكراً من النفاق الذي يعيش به المنافقون في الناس، إنه مكر باللّه، واستخفاف به، وفي قوله تعالى: {خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ} إشارة إلى أن هذا النفاق مع اللّه يقضي على صاحبه بخسران الدنيا والآخرة جميعاً، فهو قد خسر الدنيا، لأن ما ابتلاه اللّه، لا يدفعه عنه هذا الكفر باللّه، الذي لقي به ابتلاء اللّه له.

وهو قد خسر الآخرة، لأنه سيلقى اللّه على كفره هذا، وللكافرين عذاب أليم.[2]

المشي مكباً على الوجه:

قارن القرآن الكريم بين شريحتين من الناس متقابلتين، إحداهما يمثلها الذين يمشون مكبين على وجوههم، فقال تعالى: {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (الملك:22)، وفي التفسير أن في معنى هذه الآية الكريمة قولين:

1. صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب بيعة الأعراب.
2. التفسير القرآني للقرآن، 2 /412.

أحدهما: أن المشي هنا استعارة في سلوك طريق الهدى والضلال في الدنيا.

والآخر: أنه حقيقة في المشي في الآخرة؛ لأن الكافر يحمل على المشي إلى جهنم على وجهه. فأما على القول الأول، فقيل: إن الذي يمشي مكباً أبو جهل، والذي يمشي سوياً سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، وقيل: حمزة، وقيل: هي على العموم في كل مؤمن وكافر، وقد تمشي هذه الأقوال أيضاً على الثاني، والمكب هو الذي يقع على وجهه، يقال أكب الرجل وكبه غيره..[1]

يُعرف في وجوههم المنكر إذا تليت عليهم آيات الله البينات:

الأمارات التي تظهر على الوجوه تعبر في كثير من الأحيان عن المكنون في الصدور والأذهان، سواء أكان حزناً أم سروراً، والذين كفروا تدل حالة وجوههم على عداوتهم وبغضهم لدين الله، خاصة لما تتلى عليهم الآيات الربانية البينات، مصداقاً لقوله عز وجل: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ...} (الحج:72)

أي يعرف الإنكار في وجوههم بعلاماته الدالة عليه؛ كعبوسها وإعراضها.[2]

يبين د. عبد الكريم الخطيب أن هذه الآية الكريمة تعرض صورة من عناد المشركين، وتأبّيهم على الحق، وشرودهم عن الهدى، وذلك أنهم إذا تليت عليهم آيات اللّه، وقعت كلماتها في قلوبهم موقع النكر، فاشمأزوا منها، وضاقوا بها، وظهر على

1. التسهيل لعلوم التنزيل، 3 /205.
2. التسهيل لعلوم التنزيل، 2 /227.

وجوههم ما اعتمل في صدورهم من حنق وغيظ، وكادت أيديهم تتحرك بالتطاول والأذى، ينالون به من يتلو عليهم آيات اللّه، ويسمعهم إياها، هذا هو حال أهل الضلال، مع كل دعوة راشدة، وفي وجه كلّ كلمة طيب، إنهم يزورّون بالخير، ويضيقون ذرعاً بالهدى.[1]

وجوه خاشعة:

وصفت وجوه الظالمين يوم القيامة بأنها خاشعة، فقال تعالى في الآية الثانية من سورة الغاشية: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ} (الغاشية:2)، يذكر د. عبد الكريم الخطيب أن هذا هو مطلع حديث الغاشية، وهذا هو الجواب على السؤال عنها: إن ما تحدّث به الغاشية عن نفسها ليس كلاماً، وإنما هو أفعال وأحداث، ومن أحداثها، تلك الوجوه الخاشعة، وخشوعها هو خشوع ذلة، وضراعة، ومهانة، وليس خشوع تقوى وتوقير وإجلال، فللذل خشوع انكسار، وامتهان، تموت معه العواطف، والمشاعر، كما يقول تعالى في أصحاب النار: {وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ}.[2]

وقابل الوجوه الخاشعة في سورة الغاشية ذكر الوجوه الناعمة، حيث قال عز وجل: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ} (الغاشية:8)

1. التفسير القرآني للقرآن، 3 /14.
2. التفسير القرآني للقرآن، 3 /18.

خاتمة:

هذا عرض مجمل تم فيه استقراء الأوصاف القرآنية السلبية للوجوه، سواء ما تعلق منها بحوادث الآخرة ومشاهدها، أم ما يكون في الدنيا، وتم الوقوف عند أسباب تعرض الوجوه لهذه الأوضاع ومسبباتها، ونيلها هذه الأوصاف والمآلات، ويهدف هذا العرض والوقوف من بعده على الأسباب التي تمخض عنها ما لحق بالوجوه من سوء، إلى تنبيه العقلاء ليتدبروا ويتعظوا حتى لا يوقعوا وجوههم في هذه المآلات الصعبة، وينجون وإياها من مصير الظالمين والخاسرين، المنبه إلى بعض أحواله في ضوء الآيات القرآنية الكريمة التي تم الاستدلال بها خلال هذا العرض، الذي يرجى أن يحقق غايته المنشودة، بانتهاج درب إنجاء الوجوه من الاسوداد والبسر والغبرة والقترة، والنار، والأخذ بها لتكون ناعمة نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ.

حكم أخذ المضحي من شعره وأظفاره

الشيخ د. أحمد خالد شوباش / مفتي محافظة نابلس / عضو مجلس الإفتاء الأعلى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

حكم الأخذ من شعر المضحي وأظفاره:

اختلف الفقهاء في حكم أخذ المضحي من شعره وأظفاره على ثلاثة أقوال:

القول الأول: التحريم، وهو قول بعض الحنابلة بل هو المذهب، وحكاه ابن المنذر عن أحمد وإسحاق وسعيد بن المسيب[1]، وبه قال ربيعة شيخ مالك[2] وداود وابن حزم الظاهريان[3]، وبعض أصحاب الشافعي، وحكاه الرافعي عن أبي الحسن العبادي من الشافعية.[4]

وقد استدل أصحاب هذا القول بما روته أم سلمة، رضي الله عنها، زوج النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (إِذَا دَخَلَتِ الْعَشْرُ، وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ، فَلَا يَمَسَّ

1. ابن قدامة، المغني، 9 /436، ط مكتبة القاهرة، 1388هـ - 1968م. ابن المنذر، الإشراف على مذاهب العلماء، 3 /412، المحقق: صغير الأنصاري، مكتبة مكة الثقافية، الطبعة الأولى، 1425هـ 2004م.
2. النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 13 /138، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، 1392هـ
3. النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 13 /138. ابن حزم، المحلى بالآثار، 6 /3، ط دار الفكر.
4. النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 13 /138. النووي، المجموع، 8 /391، ط دار الفكر. الرافعي، العزيز في شرح الوجيز وهو الشرح الكبير، 20 /324، المجلس الوطني للإعلام، الإمارات، الطبعة الأولى، 1437هـ - 2016م.

مِنْ شَعَرِهِ وَبَشَرِهِ شَيْئًا، قِيلَ لِسُفْيَانَ: فَإِنَّ بَعْضَهُمْ لَا يَرْفَعُهُ، قَالَ: لَكِنِّي أَرْفَعُهُ)[1]، وفي رواية عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة ترفعه، قال: «إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ وَعِنْدَهُ أُضْحِيَّةٌ يُرِيدُ أَنْ يُضَحِّيَ، فَلَا يَأْخُذَنَّ شَعْرًا، وَلَا يَقْلِمَنَّ ظُفُرًا»[2]، وعن أم سلمة أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «إِذَا رَأَيْتُمْ هِلَالَ ذِي الْحِجَّةِ، وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ، فَلْيُمْسِكْ عَنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ»[3] وفي رواية عنها تقول: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ فَإِذَا أُهِلَّ هِلَالُ ذِي الْحِجَّةِ، فَلَا يَأْخُذَنَّ مِنْ شَعْرِهِ، وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا حَتَّى يُضَحِّيَ»[4] فهذه الأحاديث تنهى عن الأخذ من شعر المضحي وأظفاره وبشره، ومقتضى النهي التحريم.[5]

واستدلوا بما رواه عمرو بن مسلم بن عمّار الليثي، قال: «كُنَّا فِي الْحَمَّامِ قُبَيْلَ الْأَضْحَى، فَاطَّلَى فِيهِ نَاسٌ، فَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْحَمَّامِ: إِنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ يَكْرَهُ هَذَا، أَوْ يَنْهَى عَنْهُ، فَلَقِيتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، هَذَا حَدِيثٌ قَدْ نُسِيَ وَتُرِكَ، حَدَّثَتْنِي أُمُّ سَلَمَةَ، زَوْجُ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...»[6]

1. صحيح مسلم، كتاب الأضاحي، باب نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة وهو مريد التضحية أن يأخذ من شعره وأظفاره شيئاً.
2. التخريج نفسه.
3. التخريج نفسه.
4. التخريج نفسه.
5. ابن قدامة، المغني، 9 /437.
6. صحيح مسلم، كتاب الأضاحي، باب نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة وهو مريد التضحية أن يأخذ من شعره وأظفاره شيئاً.

القول الثاني: الكراهة التنزيهية، وهو قول الجمهور، وبه قال بعض الحنفية[1] وهو قول المالكية[2]، والشافعية في المذهب[3] وبعض الحنابلة واختاره القاضي وجماعته.[4]

وقد استدلوا بأدلة القول الأول، وقالوا إن النهي الوارد في حديث أم سلمة يحمل على كراهة التنزيه، لا على الحرمة، وأيدوا قولهم بما ثبت من حديث عائشة، رضي الله عنها، قالت: «كُنْتُ أَفْتِلُ قَلاَئِدَ هَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَبْعَثُ هَدْيَهُ إِلَى الكَعْبَةِ، فَمَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ مِمَّا حَلَّ لِلرِّجَالِ مِنْ أَهْلِهِ، حَتَّى يَرْجِعَ النَّاسُ»[5]، وفي رواية: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُهْدِي مِنَ المَدِينَةِ، فَأَفْتِلُ قَلاَئِدَ هَدْيِهِ، ثُمَّ لاَ يَجْتَنِبُ شَيْئًا مِمَّا يَجْتَنِبُهُ المُحْرِمُ»[6]

وقال الجندي المالكي في تقوية مذهب العاملين بالكراهة: حديث أم سلمة حسن صحيح، وهذا نهي، والنهي إذا لم يقتض التحريم حمل على الكراهة، ودليلنا على نفي الوجوب حديث عائشة، ولا خلاف أن النبي، صلى الله عليه وسلم، ضحى في

---

1. السهارنفوري، بذل المجهور في حل سنن أبي داود، 9 /537، مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، الهند، الطبعة الأولى، 1427هـ - 2006م، التهانوي، إعلاء السنن، 17 /265، ط إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، باكستان، 1418هـ، ابن عابدين، حاشية رد المحتار على الدر المختار، 2 /181، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1412هـ - 1992م.
2. القرافي، الذخيرة، 4 /141، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى 1994م. الحطاب، مواهب الجليل، 3 /244، ط دار الفكر، الطبعة الثالثة، 1412هـ - 1992م.
3. النووي، المجموع، 8 /391، الماوردي، الحاوي الكبير، 15 /74، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1999م.
4. ابن قدامة، المغني، 9 /436، المرداوي، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، 9 /431، تحقيق: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1415هـ - 1995م.
5. صحيح البخاري، كتاب الأضاحي، باب إذا بعث بهديه ليذبح لم يحرم عليه شيء، 7 /102، والنيسابوري، صحيح مسلم، باب استحباب بعث الهدي إلى الحرم لمن لا يريد الذهاب بنفسه واستحباب تقليده، وفتل القلائد وأن باعثه لا يصير محرما ولا يحرم عليه شيء بذلك، 2 /959.
6. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فتل القلائد للبدن والبقر.

ذلك العام.[1]

القول الثالث: إباحة الأخذ من شعر المضحي وأظفاره، وهو المنقول عن أبي حنيفة[2] ورواية عن مالك[3] والثوري[4] وأبو ثور[5].

واستدلوا بحديث عائشة، رضي الله عنها، وحملوه على الإباحة، وقدموه على حديث النهي الذي روته أم سلمة.

مسالك العلماء في الجمع بين حديثي أم سلمة وعائشة، رضي الله عنهما:

وقع التعارض الظاهري من حديث أمِّ المؤمنين عائشة، وأم سلمة، رضي الله عنهما، في غير مسألة، منها صيام عشر ذي الحجة، ومنها أخذ المضحي شيئاً من شعره وأظفاره في العشر، وقد حرص العلماء على دفع التعارض بين روايتيهما بوجوه عدة، ويمكن ذكرها ومناقشتها بما يتسع له المقال.

فقد ذهب القائلون بحرمة الأخذ من شعر المضحي وأظفاره إلى أن حديث أم سلمة خاص، وحديث عائشة عام، والخاص مقدم على العام، قال ابن قدامة: "وَحَدِيثُهُمْ عَامٌّ، وَهَذَا خَاصٌّ يَجِبُ تَقْدِيمُهُ، بِتَنْزِيلِ الْعَامِّ عَلَى مَا عَدَا مَا تَنَاوَلَهُ الْحَدِيثُ الْخَاصُّ"[6]،

1. خليل بن إسحاق، التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب، 3 /279، المحقق: أحمد نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الطبعة الأولى، 1429هـ - 2008م.
2. الطحاوي، شرح معاني الآثار، 4 /182، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1414هـ - 1994م، ابن حزم، المحلى، 6 /28.
3. ابن رشد، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، 17 /315، حققه محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 1408هـ - 1988م، ابن حزم، المحلى، 6 /28.
4. ابن عبد البر، الاستذكار، 4 /85، تحقيق سالم عطا ومحمد معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م.
5. ابن المنذر، الإشراف على مذاهب العلماء، 3 /412.
6. المغني، 9 /437.

وقال الشوكاني: "وَلَا يَخْفَى أَنَّ حَدِيثَ الْبَابِ أَخَصُّ مِنْهُ مُطْلَقًا، فَيُبْنَى الْعَامُّ عَلَى الْخَاصِّ، وَيَكُونُ الظَّاهِرُ مَعَ مَنْ قَالَ بِالتَّحْرِيمِ وَلَكِنْ عَلَى مَنْ أَرَادَ التَّضْحِيَةَ".[1]

ونقل أبو الفضل صالح بن أحمد بن حنبل عن والده ومشايخه توجيه هذين الحديثين، فقال صالح: " قَالَ أبي: سَأَلت يحيى بن سعيد الْقطَّان عَن حَدِيث عَائِشَة، أَن النَّبِي، صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، كَانَ يبْعَث بِالْهَدْي، وَلَا يجْتَنب مَا يجتنبه الْمحرم، وَعَن حَدِيث أم سَلمَة، إِذا أَرَادَ أحدكُم أَن يُضحي فَلَا يمس من شعره وَلَا من بشره، فَقَالَ يحيى ابن سعيد: لهَذَا وَجه، وَلِهَذَا وَجه. قَالَ أبي: وَسَأَلت عبد الرَّحْمَن بن مهْدي فَسكت"[2]، وقوله: لهذا وجه ولهذا وجه، معناه: حديث أم سلمة لمن أراد أن يضحي بالمصر، وحديث عائشة لمن بعث بهديه وأقام، قال أحمد: وهكذا أقول، حكاه عنه الأثرم.[3]

وقد ردّ هذا الجمع ابن عبد البر بقوله: "قَدْ صَحَّ أَنَّ النَّبِيَّ (عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ) إِذْ بَعَثَ بِهَدْيِهِ لَمْ يَجْتَنِبْ شَيْئًا مِمَّا يَجْتَنِبُهُ الْمُحْرِمُ، وَصَحَّ أَنَّهُ، كَانَ يُضَحِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَحُضُّ عَلَى الضَّحِيَّةِ، وَلَمْ يَصِحَّ عِنْدَنَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الْعَامِ الَّذِي بَعَثَ فِيهِ بِهَدْيِهِ، وَلَمْ يَبْعَثْ بِهَدْيِهِ لِيُنْحَرَ عَنْهُ بِمَكَّةَ إِلَّا سَنَةَ تِسْعٍ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، وَلَا يُوجَدُ أَنَّهُ لَمْ يُضَحِّ فِي ذَلِكَ الْعَامِ".[4]

كما أن من بعث بهديه ليذبح في مكة أقرب تشبهاً بالمحرم، وأولى بأن يمسك عن شعره وأظفاره ممن ضحى في بلده، قال الشافعي: "البعث بالهدي أكثر من إرادة

1. الشوكاني، نيل الأوطار، 5 /133، تحقيق عصام الدين الضبابطي، دار الحديث - مصر، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م.
2. أحمد بن حنبل، مسائل الإمام أحمد من رواية ابنه أبي الفضل صالح، 1 /350 - 351، ط الدار التعليمية- الهند. 1413هـ - 1993م.
3. ابن عبد البر، الاستذكار، 4 /85.
4. المرجع السابق في الموضع ذاته.

التضحية، تدل على أنه لا يحرم ذلك"[1]

وذهب الطحاوي إلى أن الذي لم يكن يجتنبه النبي، صلى الله عليه وسلم، في حديث عائشة مما يجب على المحرم اجتنابه من أهله في إحرامه، لا ما سواه من حلق شعره، ولا من قص أظفاره.[2]

وهذا جمع ضعيف، فإن الطحاوي قد اقتصر على رواية عائشة، رضي الله عنها، فيما يتعلق باجتناب المحرم إتيان أهله، مع أن للحديث روايات تنص على اجتناب النبي، صلى الله عليه وسلم، كل شيء مما يجتنبه المحرم.

ورأى الطحاوي في توجيه آخر تقديم رتبة حديث عائشة، إذ يقول: ومجيء حديث عائشة، رضي الله عنها، أحسن من مجيء حديث أم سلمة، رضي الله عنها؛ لأنه جاء مجيئاً متواتراً وحديث أم سلمة، رضي الله عنها، لم يجئ كذلك، بل قد طعن في إسناد حديث مالك، فقيل: إنه موقوف على أم سلمة، رضي الله عنها[3]

قال ابن حجر: وأعلّه الدارقطني بالوقف[4]، ولم يأخذ مالك بحديث أم سلمة، وإن كان رواه، وكان يقول: ليس من حديثي[5]، وقد ردّ على ذلك ابن القيم، فقال: "وَقَدْ اِخْتَلَفَ النَّاس فِي هَذَا الْحَدِيث وَفِي حُكْمه، فَقَالَتْ طَائِفَة لَا يَصِحّ رَفْعه، وَإِنَّمَا هُوَ مَوْقُوف، قَالَ ... الدَّارَقُطْنِيُّ: وَالصَّحِيح عِنْدِي قَوْل مَنْ وَقَفَهُ، وَنَازَعَهُ فِي ذَلِكَ

1. النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 13 /138.
2. الطحاوي، شرح مشكل الآثار، 14 /141، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1415هـ - 1994م وانظر: ابن قدامة، المغني، 9 /437.
3. شرح معاني الآثار، 4 /181.
4. ابن حجر، تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، 4 /342، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1989م.
5. ابن رشد، البيان والتحصيل، 17 /315.

آخَرُونَ، فَصَحَّحُوا رَفْعه، مِنْهُمْ مُسْلِم بْن الْحَجَّاج، وَرَوَاهُ فِي صَحِيحه مَرْفُوعًا، وَمِنْهُمْ أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيّ، قَالَ: هذا حديث حسن صحيح، ومنهم ابن حِبَّان خَرَّجَهُ فِي صَحِيحه...، وهَذَا اللَّفْظ ليس مِنْ أَلْفَاظ الصَّحَابَة، بَلْ هُوَ الْمُعْتَاد مِنْ خِطَاب النَّبِيّ، صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي قَوْله: لَا يُؤْمِن أَحَدكُمْ، أَيَعْجِزُ أَحَدكُمْ، أَيُحِبُّ أَحَدكُمْ، إِذَا أَتَى أَحَدكُمْ الْغَائِط، إِذَا جَاءَ أَحَدكُمْ خَادِمه بِطَعَامِهِ، وَنَحْو ذَلِكَ"[1].

قال المباركفوري: وهذه الطرق المرفوعة كلها صحيحة، فكيف يصح القول بأن حديث أم سلمة الموقوف هو أصل الحديث، بل الظاهر أن أصل الحديث هو المرفوع[2]، وقال الألباني: الحديث كان مشهوراً بين الصحابة، رضي الله عنهم، حتى رواه ابن المسيب عن جماعة منهم، وهو إن لم يصرح بالرفع عنهم فله حكم الرفع؛ لأنه لا يقال بالاجتهاد والرأي.[3]

إذاً، فالراجح صحة الحديث، وصحة رفعه إلى النبي، صلى الله عليه وسلم.

ونقل ابن حجر عن بعض أهل العلم أن حديث أم سلمة منسوخ بحديث عائشة أو ناسخاً [4]، ودعوى النسخ تحتاج إلى معرفة المتأخر، ولا دليل على ذلك.

ولعل أصح وجوه الجمع بين الحديثين أن النهي عن أخذ المضحي من شعره وأظفاره يفيد الكراهة التنزيهية، دون التحريم، ولو أريد منه التحريم لما تركه النبي، صلى الله عليه وسلم، بفعله مع أنه نهى عنه بقوله، قال ابن قدامة: "إنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى

1. ابن القيم، تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، مطبوع مع عون المعبود، 7 /346، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1415هـ
2. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، 5 /100، ط دار الكتب العلمية، بيروت.
3. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1405هـ - 1985م.
4. الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ص: 371، دار المعرفة – بيروت.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَ مَا نَهَى عَنْهُ وَإِنْ كَانَ مَكْرُوهًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ شُعَيْبٍ: {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ}(هود: 88)[1]، فهل يكون فعله وهو محرم؟ بل "الاحتمال أن يكون فعله خاصاً به".[2]

قال الماوردي: "وَجَبَ اسْتِعْمَالُ الْخَبَرَيْنِ، فَنَحْمِلُ الْأَمْرَ بِهِ عَلَى السُّنَّةِ وَالِاسْتِحْبَابِ دُونَ الْإِيجَابِ، بِدَلِيلِ الْخَبَرِ الْآخَرِ، فَلَا يَكُونُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا مُطَّرَحًا"[3]، وهذا مذهب الجمهور، ويكاد يكون إجماعاً، قال ابن عابدين: "وَمِمَّا وَرَدَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ وَأَرَادَ بَعْضُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ فَلَا يَأْخُذَنَّ شَعْرًا وَلَا يُقَلِّمَنَّ ظُفُرًا"، فَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى النَّدْبِ دُونَ الْوُجُوبِ بِالْإِجْمَاعِ"[4]

وهذا من باب المبالغة، وإلا فقد ثبت قول من خالف الإجماع، وقال بالوجوب والإباحة، ويؤيد مذهب الجمهور القول: إن الأضحية سنة، فإذا كانت كذلك، فلا يمكن أن يكون شيء من متعلقاتها أو متطلباتها واجباً، وهو قول قوي.

ما يكره أخذه وإزالته من جسد المضحي:

يكره أخذ شيء من الظفر والشعر في قول أغلب الفقهاء.

وفي رواية عن الشافعي: المراد بالشعر شعر الرأس، وبالبشرة شعر البدن، فعلى هذا لا يكره تقليم الأظفار[5] ويرد على هذا رواية مسلم: ولا يقلمن ظفراً.

فالشعر يشمل ما يستحب إزالته عادة، كشعر الإبط، وما يباح إزالته عادة كشعر

1. المغني، 9 /437.
2. المرجع السابق في الموضع ذاته.
3. الحاوي الكبير، 15 /74.
4. حاشية رد المحتار على الدر المختار، 2 /181.
5. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 13 /138 - 139، وللنووي، المجموع شرح المهذب، 8 /392. وانظر: ابن حزم، المحلى، 6 /28. ابن قدامة، المغني، 9 /437.

الرأس، فلا يأخذ منه شيئاً قليلاً أو كثيراً، ولا يأخذ شيئاً من ظفره، ولا من بشرته، وهو يشمل الختان لمن لم يختتن، والجلد المتشقق، إلا إذا انكسر الظفر، أو نبت داخل الجفن شعر فتتأذى به العين، فلا مانع من أخذه.[1]

فمن أخذ شيئاً للحاجة كمن انكسر ظفره فاحتاج إلى إزالته لمنع الأذى، أو احتاج لإزالة شيء من شعره زالت عنه الكراهة للحاجة.

ولا يعتزل المضحي النساء، ولا يترك الطيب واللباس وغير ذلك مما يتركه المحرم عند العلماء[2]، خاصة إباحة الجماع، ونقل ابن عبد البر الإجماع على ذلك.[3]

المشمولون بالنهي عن الأخذ من شعرهم وأظفارهم بسبب التضحية:

يشمل هذا الحكم المضحين جميعاً، سواء أكانوا يضحون في بلدانهم، أم يرسلون الأضحية، أم يكلفون أشخاصاً، أم جهات متخصصة بالتضحية بأسمائهم وعنهم في بلدان أخرى.

فهذا الحكم خاص بمن يضحي، وهو رب البيت، وأما أهل البيت فلا يطلب منهم ذلك؛ لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، علق الحكم بمن يضحي، فمفهومه أن من يُضَحَّى عنه لا يثبت له هذا الحكم، كما أن النبي، صلى الله عليه وسلم، كان يضحي عن أهل بيته، ولم ينقل أنه كان يقول لهم لا تأخذوا من شعوركم وأظفاركم وأبشاركم شيئاً، ولو كان مطلوباً لأمر به، ولا يصح قياس المضحى عنه على المضحي؛

1. الماوردي، الحاوي الكبير، 15 /74، العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم، 7 /349.
2. الرملي، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، 8 /132، ط أخيرة، دار الفكر، بيروت، 1404ع أ - 1984م. ابن عثيمين، الشرح الممتع على زاد المستقنع، 7 /488، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، 1422هـ - 1428هـ
3. الشوكاني، نيل الأوطار، 5 /133، النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 13 /139.

لأنه قياس في مقابلة النص، ولأنه قياس مع الفارق، حتى لو اشتركا في الأجر، لكن المضحي هو من بذل المال، وتعب في الذبح.[1]

وذهب بعض الشافعية إلى القول إنه ينبغي ذلك على أهل البيت الالتزام أيضاً، ولا يختص بصاحب البيت[2]، والقول الأول أصح.

كما لا يطلب ذلك من الوكلاء؛ سواء أكانوا أفراداً أم مؤسسات وجمعيات.

الوقت الذي يشرع فيه التزام المضحي بالكف عن الأخذ من الشعر والأَظفار:

يبدأ وقت التزام المضحي والحكم بكراهة الحلق والقلم من أول العشر، ويستمر ذلك حتى يضحي، وهو مذهب المالكية[3] والشافعية[4]، والحنابلة[5]، وعند الشافعية في وجه: لا يكره إلا لمن دخل عليه العشر وعيّن أضحيته.[6]

قال الأوزاعي: فإذا اشترى أضحيته بعدما دخل العشر، فإنه يكف عن ذلك من وقتها حتى يضحي، وقال غيره: حتى لو لم يشترها فعليه الإمساك إن كان واجداً للأضحية أو ناوياً لها[7]، وهو الصحيح، والله أعلم.

وإن لم يضح في اليوم الأول بقي كافاً عن أخذ شعره وأظفاره حتى يضحي.

وصرح الحنفية القائلون باستحباب الكف عن الأخذ من الشعر والأظفار، بعدم

1. الاستذكار، 4 /85.
2. ابن عثيمين، الشرح الممتع على زاد المستقنع، 7 /487.
3. الجمل، فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمعل، 5 /252، ط دار الفكر.
4. القرافي، الذخيرة، 4 /141.
5. النووي، المجموع شرح المهذب، 8 /392.
6. البهوتي، كشاف القناع عن متن الإقناع، 3 /23، ط دار الكتب العلمية.
7. النووي، المجموع شرح المهذب، 8 /392.

الاستحباب إن استلزم ذلك الزيادة عن الأربعين يوماً من ساعة أخذ أظفاره وشعره المستحب أخذه كشعر العانة والإبط؛ لعدم إباحة ما فوقها.[1]

ويستحب حلق الشعر بعد الذبح تعظيماً لذلك اليوم، ولأنه كان ممنوعاً قبل أن يضحي، فاستحب له ذلك بعده كالمحرم، وقيل لا يستحب، واختاره ابن تيمية.[2]

الحِكَم والفوائد المرجوة من ترك أخذ المضحي من الشعر والأظفار:

نقل النووي من الشافعية أن الحكمة من هذا النهي هي أن يبقى المضحي كامل الأجزاء ليعتق من النار.[3]

وقيل لتشبهه بالمحرم، وقد حُكِي عن أصحاب الشافعي أن هذا غلط؛ لأن المضحي لا يعتزل النساء، ولا يترك أكثر ما يترك المحرم[4] لكن "الذين لم يحرموا بحج ولا عمرة شرع لهم أن يضحوا في مقابل الهدي - للحجاج - وشرع لهم أن يتجنبوا الأخذ من الشعور والأظفار والبشرة؛ لأن المحرم لا يأخذ من شعره شيئاً؛ يعني لا يترفه، فهؤلاء أيضاً مثله، وهذا من عدل الله وحكمته".[5]

حكم مخالفة المضحي النهي النبوي في الأخذ من الشعر والأظفار:

يظن كثير من العوّام أن المضحي إذا أخذ من شعره أو أظفاره في عشر ذي الحجة، فإن أضحيته لا تصح ولا تقبل، وينشغل المسلمون بهذه المسألة في هذه الأيام،

1. ابن رشد، البيان والتحصيل، 17 /315. ابن عبد البر، الاستذكار، 4 /85.
2. ابن عابدين، حاشية رد المحتار على الدر المختار، 2 /181. السهارنفوري، بدل المجهود في حل سنن أبي داود، 9 /537.
3. المرداوي، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، 9 /432. البهوتي: كشاف القناع، 3 /32.
4. المجموع شرح المهذب، 8 /392. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 13 /139، الرافعي، فتح العزيز في شرح الوجيز، 20 /325. الرملي، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، 8 /132. الشوكاني، نيل الأوطار، 5 /133.
5. المراجع السابقة في المواضع ذاتها.

ويشدون على أنفسهم بلا دليل ولا بيّنة ولا قول معتبر لأحد من الفقهاء. "وأما ما اشتهر عند العوام أنه إذا أخذ الإنسان من شعره أو ظفره أو بشرته في أيام العشر، فإنه لا أضحية له، فهذا ليس بصحيح؛ لأنه لا علاقة بين صحة التضحية والأخذ من هذه الثلاثة "[1]

ومن ترك الالتزام بالكف عن الأخذ من شعره وأظفاره لا إشكال في فعله، على قول القائلين بالإباحة، ويكون خالف السنة على قول القائلين إن ذلك من الكراهة التنزيهية، ويكون عاصياً على قول القائلين بالحرمة، وعليه التوبة، لكن ذلك لا يؤثر في صحة الأضحية وقبولها، باتفاق العلماء، قال ابن قدامة: "فإنه يترك قطع الشعر وتقليم الأظفار، فإن فعل استغفر الله تعالى، ولا فدية فيه إجماعاً، سواء فعله عمداً أو نسياناً".[2] وكذلك من فعله للحاجة.

وبهذا؛ فقد تبين أن أرجح الأقوال في حكم أخذ المضحي شيئاً من شعره أو أظفاره هو الكراهة، وهو مترتب على المسلك الأفضل للعلماء في الجمع بين حديثي عائشة وأم سلمة، رضي الله عنهما، وأنه يكره الأخذ من الشعر والبشر والأظفار من دخول هلال ذي الحجة، إلا إذا نوى الأضحية بعده، فمن وقت ما نوى، وحتى يضحي، وأن الحكمة من ذلك التعرض للعتق من النار بكامل بدن المضحي، وأن من خالف ذلك لا يؤثر في صحة أضحيته، ولا قبولها، لكن يعرض نفسه لنقص الأجر بترك السنة، والله أعلى وأعلم.

---

1. ابن عثيمين، الشرح الممتع على زاد المستقنع، 7 /486.
2. الجويني، نهاية المطلب في دراية المذهب، 18 /161، حققه: عبد العظيم الدّيب، دار المنهاج، الطبعة الأولى، 1428هـ - 2007م.

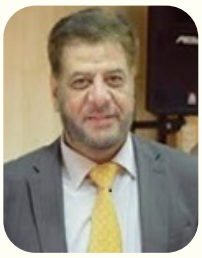

حكم تحديد أعداد الحجاج، وآلية توزيع المقاعد المخصصة على الدول

أ.د جمال أحمد زيد الكيلاني / عميد كلية الشريعة / جامعة النجاح الوطنية
عضو مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فالأصل أن لكل مسلم الحق في الوصول إلى المشاعر المقدسة لأداء ركن الحج بيسر وسهولة، بلا عقبات، أو قيود وموانع ما أمكن ذلك، ولكن طرأت عوارض دفعت المملكة العربية السعودية – وهي الدولة المسؤولة عن ترتيب شؤون الحج ورعايته - للقيام بإجراءات تنظم عملية أداء المناسك بسبب ازدياد أعداد الحجاج بشكل كبير، وعدم قدرة أرض المشاعر على استيعابهم لاجتماعهم في زمان واحد وصعيد واحد، وحصول التزاحم والتدافع الشديد بينهم، وما ترتب عليه من إزهاق أنفس وأرواح، فحددت أعداد الحجاج، وخصصت لكل دولة حصة تصل إلى ألف حاج لكل مليون نسمة، هذا الإجراء التحديدي أدى إلى تنافس الناس على مقاعد الحج بشكل كبير، وأصبح موسمه سوقاً رائجةً لبيع التأشيرات، ويتعرض هذا المقال لحكم تحديد أعداد الحجيج، وآلية توزيع الحصص على الدول المختلفة.

دوافع تحديد أعداد الحجيج وحكمه:

أولاً: مفهوم التحديد: هناك نوعان لمفهوم التحديد في الحج

الأول: التحديد العددي: ويعني تخصيص عدد محدد من مقاعد الحج لكل دولة يتناسب مع عدد سكانها، حيث يكون لكل مليون نسمة ألف حاج، لا يزاد عليه؛ لضمان سلامة الحجاج، وتقديم الخدمة اللازمة لهم بيسر وسهولة - وهذا بحسب اتفاق وزراء خارجية الدول الإسلامية في اجتماعهم الذي انعقد في المملكة الأردنية الهاشمية سنة 1408هـ - 1988م.

والثاني: التحديد الزمني: ويقصد به عدم السماح للشخص أن يحج مرة أخرى إلا بعد مرور فترة زمنية معينة على الحجة الأولى، تقدر بخمس سنوات، كما هو الحال لمن أراد الحج من داخل المملكة العربية السعودية، حيث تقرر في المملكة: أن على كل من أراد الحج من داخل المملكة العربية السعودية التقدم بطلب تصريح لأداء النسك، شرط أن لا يكون أدى النسك مسبقاً، وإن سبق له ذلك لم يعط التصريح إلا بعد مضي خمس سنوات من تصريحه الأخير للحج(*)، ويعاقب كل من يخالف هذا الإجراء والنظام للحج بالغرامة والسجن لمدد متفاوتة طبقاً لمخالفته، حيث يتم تسجيل معلومات كاملة عن المخالف، وأخذ بصمته، وإصدار الحكم عليه مباشرة، مع تصديق الحكم، ثم تطبيق العقوبة المقررة، مع استبعاده من شمولية العفو، أو الشفاعة، بالإضافة إلى مصادرة السيارة التي تنقل المخالفين، وكانت وزارة الداخلية قد وضحت نظام العقوبات الجديدة، التي كانت على النحو الآتي:

* الشتبري، الشريف هاشم، حكم تحديد أعداد الحجاج والمدة الزمنية بين حجة وأخرى، انظر موقع المسلم على الرابط الإلكتروني:http://almoslim.net/node/217782

- من ينقل حجاجاً لا يحملون تصاريح حج يعاقب بالحبس لمدة خمسة عشر يوماً، وبغرامة مالية قدرها عشرة آلاف ريال عن كل حاج.

- من تتكرر مخالفته بنقل حجاج دون تصاريح حج يعاقب بالسجن لمدة شهرين، وبغرامة مالية قدرها خمسة وعشرون ألف ريال عن كل حاج.

- من يقوم بنقل الحُجَّاج دون تصاريح حج، أكثر من مرتين يعاقب بالسجن لمدة ستة أشهر، وبغرامة مالية قدرها خمسون ألف ريال عن كل حاج.

- تتعدد الغرامة المالية بتعدد الأشخاص المنقولين لأداء فريضة الحج دون تصريح حج.

- تتم المطالبة بمصادرة وسيلة النقل المستخدمة في نقل الحُجَّاج دون تصاريح حج إن كانت مملوكة للناقل أو المساهم أو المتواطئ.

- كل وافد يخالف تعليمات الحج يُرحَّل ويُمنعْ من دخول المملكة، وفقاً للمدد المقررة نظاماً.(*)

ثانياً: دوافع تحديد أعداد الحجيج: قامت المملكة العربية السعودية في الآونة الأخيرة بتحديد أعداد الحجاج لكل دولة، وكان الدافع وراء هذا التحديد:

1 - تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص أمام الراغبين جميعهم في أداء مناسك الحج.

2 - إتاحة المجال أمام الحجاج لأداء مناسك الحج بشكل آمن، دون حصول تدافع يؤدي إلى التهلكة، خاصة بعد ازدياد أعداد الحجيج بشكل كبير، ومحدودية مساحة أرض مشاعر الحج.

* لائحة عقوبات أمام من يحاول الحج بلا تصريح، على موقع الرياض على الرابط الإلكتروني:
http://www.alriyadh.com/1075566

3 - توفير الخدمات اللازمة للحجيج بشكل مناسب ومتميز، سواء أكان ذلك بالسكن، أم في الخدمات المرورية، أم الصحية أم الغذائية وغير ذلك، كما يساعد هذا التحديد الدولة على تنفيذ خطط تطوير الأماكن المقدسة.[1]

حكم تحديد أعداد الحجيج:

ذهب العلماء المعاصرون إلى جواز تحديد أعداد الحجيج، وحجتهم في ذلك ما يأتي[2]:

1 - قوله تعالى: {وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (البقرة: 195).

وجه الدلالة: أن فتح المجال أمام الناس الراغبين في الحج جميعهم ليحجوا - مع ازدياد أعدادهم الهائلة - يؤدي إلى التزاحم، ما يوقع الناس في المهالك بسبب التدافع بينهم، وفي التحديد حفظ للنفوس والأرواح، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، خاصة إذا علمنا أن المفسدة التي يراد دفعها عامة، والمصلحة التي يراد جلبها خاصة.

1. انظر: د. الشريف هشام بن هزاع الشتبري: حكم تحديد أعداد الحجاج والمدة الزمنية بين حجة وأخرى، على الرابط الإلكتروني: http://www.almoslim.net/

2. المصدر السابق، وقال د. الشريف: إن القول بتحديد أعداد الحجاج بنوعيه العددي والزمني قول جاء على الأصول من المنقول والمعقول، ولا ينبغي أن يعارض فيه معارض، أو يتوقف فيه متوقف، لما دّل عليه السمع بالتأييد، والدّعم إما بدلالة الأصل أو بدلالة معقول الأصل. انظر البحث في مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد (98) نقلاً عن موقع المسلم، على الرابط الإلكتروني: http://www.almoslim.net/ وانظر: النوازل في الحج، د. علي بن ناصر الشعلان، مقال بعنوان تحديد أعداد الحجاج، ضرورة واقعية أم متاهة سياسية، تاريخ 27 /10 /2010، وانظر: د. حسام عفانة: فقه الحج والعمرة، على موقع يسألونك تاريخ: 8 /9 /2014م. على الرابط الإلكتروني:http://yasaloonak.net/

ومن العلماء الذين قالوا بالتحديد أيضاً: الشيخ عبد الله الجفن، د. حسام عفانة، د. الشريق هاشم، الشيخ سعود الفنيسان والشيخ عبد العزيز بن باز، د. علي الحسبان – جامعة الأزهر -، عماد عنان، قيود الحج بين الدوافع السياسية وتعزيز الموارد الاقتصادية للسعودية، وكالة نون بوست.

2 - قوله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}(البقرة: 185)، وقوله تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}(الحج: 78). وفي تحديد الأعداد تيسير على الناس في أداء المناسك ورفع للحرج عنهم.

3 - القيام على خدمة الحجيج وضيوف الرحمن واجب شرعي، ودون تحديد عدد الحجيج قد تفوت هذه الخدمة، أو يصعب القيام بها؛ لكثرة الأعداد، وبالتحديد يتحصل مقصود الخدمة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.[1]

4 - كما يصح تأخير الحج لمانع صحيح معتبر، وإن كان المكلف مستطيعاً ببدنه وماله، كمانع التحديد عدداً وزمناً، يؤيد ذلك قوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} (آل عمران: 97)، والآية نزلت في آخر العام التاسع للهجرة، وحج أبو بكر بالناس من العام نفسه بأمر النبي، صلى الله عليه وسلم، ولم يحج النبي، صلى الله عليه وسلم، إلا في العام العاشر[2]، والتأخير فيما يظهر هو لمانع راجح عُرض له – عليه الصلاة والسلام – والتحديد العددي والزمني جاء على هذا الأصل، لما فيه من التهيئة والاستعداد لاستقبال ما أمكن من الحجيج، فلو تخلف الحاج لمانع الاستطاعة القائم على التحديد، ومات قبل أن يحج، فلا حرج عليه ولا إثم، لأن الحج فرض على المستطيع، وهو غير ذلك. وجملة القول: فإن المتأمل في أسباب ودوافع مسألة تحديد أعداد الحجيج يصل إلى الجزم في القول بمشروعية هذا الإجراء

1. القرافي: أبو العباس أحمد بن إدريس: الفروق،1 /166، الناشر: دار الكتب العلمية، 1418هـ - 1998م – بيروت- تحقيق: خليل منصور.
2. الزحيلي: د. وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 17 /198، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق – ط2 – 1418هـ

التنظيمي، لما فيه من مصلحة ظاهرة وضرورة واضحة تستدعي هذا الفعل؛ لمساعدة ضيوف الرحمن على أداء مناسك الحج بيسر وسهولة، مع حفظ أنفسهم وأرواحهم.

ضوابط تحديد الحج:

مع القول بجواز التحديد العددي والزمني للحج، تجب مراعاة الأمور الآتية:

1 - التوزيع العادل لمقاعد الحج بين الدول الإسلامية جميعها، وهذا يستلزم مراجعات مستمرة لهذه النسب، بناء على التغيرات الديموغرافية المختلفة.

2 - أن يشمل التحديد الحجاج الذين يسكنون داخل المملكة العربية السعودية، حيث إن ثلث إلى نصف أعداد الحجيج هم ممن يسكنون داخل المملكة.

3 - ضرورة دراسة وضع الأقليات في الدول غير الإسلامية، وتخصيص عدد لهم يتناسب مع ظروفهم في تلك الدول.

آلية توزيع حصص الحج على الدول والمواطنين:

أولاً: آلية توزيع حصص الحج على الدول: إن قيام حكومة المملكة العربية السعودية بتخصيص عدد محدود من مقاعد الحج لكل دولة عربية وإسلامية مبنيٌ على اتفاق وزراء خارجية الدول العربية والإسلامية في اجتماع منظمة التعاون الإسلامي الذي عقد في عمان في المملكة الأردنية الهاشمية، خلال الفترة من: 3 – 7 شعبان – 1408هـ الموافق 21 – 25 آذار 1988م. وخرج بقرار يحمل الرقم (17 /21 - س) نص على ما يأتي:

انطلاقاً من مبادئ ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي، وأهدافه التي نصت على احترام سيادة كل عضو، وعلى تعزيز التضامن الإسلامي والتعاون في كل ما من شأنه خدمة

الإسلام والمسلمين[1]، وإذ يأخذ في الاعتبار حرص حكومة المملكة العربية السعودية على تسهيل أداء فريضة الحج، ومناسك العمرة، والزيارة لكل مسلم ومسلمة، وما تبذله من جهود خيّرة في سبيل تنظيم أداء مناسك الحج، وإقامة الحجاج والمعتمرين، وسيرهم، وتنقلاتهم، وبعد الاطلاع على المذكرة التي تقدمت بها حكومة المملكة العربية السعودية، والمتضمنة شروعها في خطط جديدة، وبرامج، ومشروعات لتوسعة الحرمين الشريفين، وتطوير مباني سكن الحجاج وتحسينها، وإزالة بعض المنشآت القديمة، وإقامة منشآت جديدة، وتأسيس الأجهزة، والمؤسسات والهياكل التنظيمية اللازمة لذلك، وإذ يقر بأن استضافة وتيسير وتسهيل انسياب الحجاج يستلزم تنظيم جموع الوافدين من مختلف أصقاع الأرض، بما يؤمن تمتعهم بالخدمات التي توفرها لهم الأجهزة المختصة في المملكة العربية السعودية، بصورة تتناسب مع الواقع المكاني لمناسك الحج والعمرة:

1 – يؤيد الإجراءات التي ستتخذها المملكة العربية السعودية، التي تحدد عدد الحجاج بنسبة حاصل تقسيم عدد سكان الدولة على عدد المسلمين في العالم[2]

2 – يطلب من الدول الأعضاء جميعها في منظمة المؤتمر الإسلامي التعاون مع حكومة المملكة العربية السعودية في كل ما من شأنه تنفيذ الإجراءات الملائمة لذلك، بما يكفل تحقيق تكافؤ الفرص بين الحجاج جميعهم، وتأمين أداء مناسكهم، وتوفير وسائل الراحة لهم.

1. انظر: موقع وزارة الأوقاف الفلسطينية، على الرابط الإلكتروني: http://pal-wakf.ps/pilgrims
2. المصدر السابق.

وبحسب هذا القرار فإن الأعداد المخصصة لكل دولة إسلامية محددة بألف حاج لكل مليون نسمة من السكان، بمعنى: الدولة الإسلامية تأخذ حصتها من أعداد الحجيج بالكامل وفقاً للنسبة المعتمدة المذكورة، وهي واحد لكل ألف حاج، من إجمالي عدد السكان لكل دولة، وقد سجِّل هذا ووثِّق في هيئة الأمم المتحدة.

إن هذه النسبة بقيت دون تغيير أو تعديل رغم التحولات الديموغرافية والسكانية والظروف المتباينة بين الدول بسبب أزمات الحروب والصراعات والأمراض والفقر والغنى، ما أوجد أوضاعاً جديدة أثرت في الأعداد المراد بعثها زيادة وانخفاضاً، وهذا يستلزم مراجعة هذه النسب والحصص، بما يتواءم مع الظروف الجديدة.

ثانياً: آلية توزيع حصة الحج للدولة على مواطنيها: تختلف معايير اختيار الحجيج من الحصة المقررة في كل دولة، ففي بلادنا فلسطين يقوم مبدأ اختيار الحجاج وتوزيع المقاعد المخصصة - والبالغة (6600) مقعد - على أساس القرعة في كل عام، وبحسب نظام التسجيل المفتوح، حيث تعلن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية – وهي الجهة الراعية لشؤون الحج - عن بدء التسجيل للراغبين في أداء فريضة الحج عبر وسائل الإعلام المختلفة، ومن خلال المواقع الإلكترونية، أو مراكز التسجيل التي تفتح في كل محافظات الوطن، وكل شخص له الحق في التسجيل بغض النظر عن الفئة العمرية، ويتم بعد ذلك تحديد يوم لإجراء القرعة بين المتقدمين، ويخصص (5 %) من مجمل المقاعد للمشرفين على بعثة الحج، وأصحاب الحالات الإنسانية، وذوي الاحتياجات الخاصة، والمرافقين لهم، وتوزع باقي الحصة (95 %) على محافظات

الوطن بنسبة (1 – 1000) من سكان كل محافظة، تبعاً لآخر تعداد سكاني[*].

وفي المملكة الأردنية الهاشمية، يتم فتح باب التسجيل أمام الراغبين في الحج، واختيار المقاعد المخصصة بناءً على الفئة العمرية، وتعطى الأولوية لكبار السن، ثم يقرع بينهم ويتم اختيار الأعداد اللازمة والمخصصة، وقد نصت المادة (14) من نظام شؤون الحج والعمرة رقم (34) لسنة 2010م على ما يأتي:

أ- يتم اختيار كامل العدد المخصص لحجاج المملكة ممن أبدوا رغبتهم، وسجلوا تسجيلاً أولياً في المواعيد التي تحددها الوزارة، ممن لم يحجوا سابقاً، وفقاً لمعيار الأكبر سناً، بنسبة تبلغ بحدود (75 %) من عدد الحجاج المخصص للمملكة، ونسبة (25 %) وفقاً لمعيار القرعة، على أن يتم الاقتراع بين المسجلين للحج من مواليد السنة التي تلي سنة الاختيار للحج، ولأربعة عشر عاماً أخرى.

ب- يستثنى من شرطي السن وعدم الحج سابقاً الحالات الآتية:-

1 - الزوج إذا انطبق شرط السن على زوجته، شريطة أن لا تكون الزوجة حجت سابقاً.

2 - محرم الأنثى التي انطبق عليها شرط السن وزوجته، شريطة أن لا تكون زوجة المحرم حجت سابقاً.

3 - مرافق ومرافقة الشيخوخة وأزواجهم، لمواليد عام (1949) فما قبل، وكذلك مرافق ومرافقة العجز، وفق الشروط الآتية:

أ- أن يكون المرافق من الأقارب حتى الدرجة الثالثة، نسباً ومصاهرة.

ب- في حال تخلف الأصيل عن السفر، واستمرار المرافق لا تعاد تكاليف الحج

* انظر: موقع وزارة الأوقاف الفلسطينية، على الرابط الإلكتروني: http://pal-wakf.ps/pilgrims

المدفوعة للأصيل، إلا إذا كان لسبب خارج عن الإرادة، وتقتنع به الوزارة.

ت- في حال كان الرجل وزوجته يستحقان مرافقين حسب شرط السن، يعطى لكل واحد مرافق، ويجوز للمرافق اصطحاب الزوج (ذكراً كان أم أنثى) وكذلك بالنسبة إلى مرافقي العجز، شريطة أن لا تكون زوجة المرافق للشيخوخة أو العجز حجت سابقاً .

هـ- تستثنى الحالات المبينة أدناه من شرط التسجيل الأولي لمرافقة من انطبقت عليه شروط الاختيار:- استبدال المحرم أو المرافق .- المرافق الذي حج سابقاً .- الزوج أو الزوجة، شريطة أن لا تكون الزوجة حجت سابقاً .

4 - يجوز لمواليد عام 1950 فما فوق ممن انطبقت عليهم الشروط لأداء فريضة الحج طلب مرافق (عجز) إذا كانت حالته تستدعي ذلك، على أن يثبت ذلك بتقرير طبي صادر عن اللجنة الطبية اللوائية.

وجاء في المادة (15):

1 - تصدر الدائرة تصريح الحج لموسم 1437هـ لكل من انطبقت عليه الأسس والشروط، ويتم تسليمه بعد أداء القسم بعدم الحج سابقاً أمام لجنة تسليم التصاريح.

2 - يستثنى من أداء القسم الزوج المرافق لزوجته، والمحرم، ومرافق ومرافقة الشيخوخة في حال عدم وجود مرافق لم يحج سابقاً، وتعامل كل حالة على حدة بقرار من الوزير، بناءً على تنسيب اللجنة(*)

والحمد لله رب العالمين

* انظر: مشروع تعليمات شؤون الحج والعمرة لسنة 2016م – 1437هـ الصادر عن مجلس الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية بمقتضى المادة (6) من نظام شؤون الحج والعمرة رقم (34) لسنة 2010م وتعديلاته.

أبعاد شرعية وروحية واجتماعية للحج

أ. محمد خليل جاد الله / الوكيل المساعد - دار الإفتاء الفلسطينية

المقدمة:

الحج أحد الأركان الخمسة التي يقوم عليها الإسلام، ويشكل عبادة استثنائية تجمع بين العمق الروحي والتواصل الاجتماعي والارتباط التاريخي بمسيرة الأنبياء.

وقد أوجب الله تعالى هذه الفريضة على كل مسلم بالغ يمتلك القدرة المادية والبدنية، كما ورد في قوله سبحانه: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} (آل عمران: 97).

ويمثل الحج رحلة إيمانية عميقة تعبر عن الانقياد التام لأوامر الله، يتخلى الحاج فيها عن مظاهر الحياة الدنيوية وملذاتها، ويتوجه إلى البيت الحرام لأداء مناسك محددة تحمل في طياتها معاني الذكر، والتضحية، والتكافل بين المسلمين. وقد بين الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، قيمة هذا الركن العظيم بقوله: (مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)(*)

وهذا المقال سيستعرض أهمية الحج من ثلاث زوايا رئيسة: البعد الشرعي كركن

* صحيح البخاري، كتاب الحج، بَابُ فَضْلِ الحَجِّ المَبْرُورِ.

أساس في الإسلام، والبعد الروحي كوسيلة لتطهير النفس والتقرب إلى الله، والبعد الاجتماعي كرمز للوحدة والتضامن بين أبناء الأمة الإسلامية، مع تسليط الضوء على انعكاساته الإيجابية على حياة الفرد والمجتمع.

الحج ركن شرعي:

يستمد الحج أهميته الشرعية من كونه فريضة إلهية ذات أصول تاريخية، تمتد إلى عهد سيدنا إبراهيم، عليه السلام، الذي دعا الناس إلى أدائه بأمر من الله تعالى، كما جاء في قوله: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} (الحج: 27)، وقد تجسدت هذه الدعوة في الإسلام عندما أدى رسولنا الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة، واضعًا بذلك الأسس الشرعية والمناسك لهذه العبادة، ويُعد الحج الركن الخامس من أركان الإسلام، كما ورد في الحديث: (بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)(*)

ومن الناحية الفقهية، يُشترط لوجوب الحج توافر الاستطاعة، التي تشمل الصحة الجسدية، والأمن في الطريق، والقدرة المالية الكافية لتغطية نفقات السفر والإقامة دون الإضرار بالتزامات الأسرة، وقد أجمع العلماء على أن ترك الحج مع توافر الاستطاعة دون عذر شرعي يُعد معصية كبيرة، مستندين إلى الآية المذكورة آنفاً من سورة آل عمران، ويتميز الحج عن غيره من الأركان كونه عبادة مكانية مرتبطة بالبيت الحرام، وزمانية تقتصر على أشهر الحج المعلومة، ما يعزز دوره كرمز للوحدة

* صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ).

الإسلامية عبر جمع المسلمين من مختلف أنحاء العالم، في مكان وزمان محددين[1].

ويؤكد الحج أيضًا على مركزية الكعبة المشرفة، باعتبارها قبلةً روحية وتاريخية، حيث يربط المسلمين بتراث الأنبياء، ويذكرهم بتضحيات إبراهيم وزوجته هاجر وابنهما إسماعيل، عليهم السلام.

إن الحج ليس مجرد مناسك وطقوس عادية، بل هو تعبير حي عن الالتزام الكامل بالعقيدة الإسلامية، حيث يتطلب هذا الركن جهدًا بدنيًا كبيرًا، يتمثل في السفر والتنقل بين المشاعر المقدسة، وجهدًا ماليًا يظهر في تحمل تكاليف هذه الرحلة الإيمانية، وجهدًا نفسيًا يتجلى في الصبر على مشاق السفر، والابتعاد عن الأهل والراحة، هذا الجهد متعدد الأوجه، يجعل الحج اختبارًا حقيقيًا لقوة إيمان المسلم، ومدى استعداده للتضحية في سبيل الله[2].

الحج وسيلة للتطهير الروحي والتقرب إلى الله:

الحج ليس مجرد واجب ديني يؤديه المسلم للامتثال لأمر الله، بل هو رحلة روحية عميقة تهدف إلى تنقية النفس، وتعزيز الارتباط بخالقها. يبدأ الحاج هذه الرحلة بالإحرام، فيتجرد من مظاهر الدنيا الفاخرة كلها، ويلبس ثوبين أبيضين بسيطين "إزار ورداء" يرمزان إلى الطهارة والمساواة بين الحجاج جميعهم، بغض النظر عن مراكزهم الاجتماعية أو أوضاعهم المادية. يقول الله تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} (البقرة: 197)، وهي دعوة صريحة للالتزام بالأخلاق الفاضلة، والابتعاد عن كل ما يشوب نقاء هذه العبادة. وقد

1. ابن حجر العسقلاني، 1379هـ، فتح الباري، 3 / 12.
2. القرطبي، 1964، تفسير القرطبي، 3 /367.

بشّر النبي، صلى الله عليه وسلم، بأن الحج المقبول يُكفر الذنوب، فقال: (مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)[1]

هذا الوعد النبوي يمنح الحاج فرصة ذهبية للتوبة، والعودة إلى الله بحالة نقية خالية من المعاصي والآثام[2].

تحمل مناسك الحج في طياتها دلالات رمزية عميقة تعزز الوعي الروحي لدى الحاج، فالطواف حول الكعبة يعكس توحيد الله في القلوب والأرواح، أما السعي بين الصفا والمروة فهو تذكير حي بصبر هاجر، عليها السلام، وثقتها بوعد الله، حين سعت بين الجبلين بحثًا عن الماء لابنها إسماعيل، كما أن رمي الجمرات يجسد رفض الشيطان والتمرد على وساوسه، مستذكرًا موقف إبراهيم، عليه السلام. هذه الأعمال ليست مجرد حركات جسدية فحسب، بل هي تجارب روحية وتحولية تزرع في النفس قيم الصبر، والإخلاص، والتوكل على الله تعالى[3].

هذا، وتتجلى استجابة الحاج لنداء الله في التلبية التي يرددها: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك"، وهي تعبير عن الخضوع التام لإرادة الله، وتجديد العهد معه، فهذا التطهير الروحي لا يقتصر على الحاج وحده، بل يتجاوزه إلى أسرته ومجتمعه، حيث يعود الحاج بقلب متجدد وروح نقية مرتفعة، تنعكس إيجابًا على سلوكه اليومي وعلاقاته الإنسانية، ما يجعل موسم الحج تجربة شاملة، تؤثر في الفرد نفسه، وفي البيئة المحيطة به.

1. صحيح البخاري، كتاب المحصر، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحَجِّ} (البقرة: 197).
2. صحيح مسلم بشرح النووي، 9/ 45.
3. ابن كثير، 1999، تفسير القرآن العظيم، 1 /289.

الحج رمز لوحدة الأمة الإسلامية وتعزيز التكافل:

يبرز الحج رمزاً قوياً لوحدة الأمة الإسلامية، حيث يجتمع ملايين المسلمين من مختلف الأعراق والثقافات والجنسيات في مكان واحد، وزمان محدد، مؤكدين على مبدأ المساواة الذي نادى به الإسلام: "لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ"[1]. يقول الله تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}(الأنبياء: 92). هذا التجمع السنوي يعزز شعور الانتماء لدى الحاج، ويذكر المسلمين بمسؤولياتهم المشتركة تجاه قضاياهم الدينية والاجتماعية العامة[2].

كما يعكس الحج قيمة التكافل الاجتماعي بشكل واضح، ففي يوم النحر، يذبح الحاج هديًا، يوزع جزءًا من لحمه على الفقراء والمحتاجين، مستذكرًا قصة إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام. يقول تعالى: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}(الكوثر: 2)، مشيرًا إلى الجمع بين العبادة والعطاء.

هذا التكافل يقلل من الفوارق الطبقية، ويعزز الروابط الاجتماعية، حيث يتساوى الجميع في اللباس والهدف الواحد[3].

علاوة على ذلك، يشكل الحج فرصة ثمينة لتبادل الخبرات والمعارف بين المسلمين، لتعزيز التعاون الاقتصادي والثقافي بين الدول الإسلامية، ويرى الباحثون أن هذا التجمع يمكن أن يتحول إلى منصة فعالة لمعالجة قضايا الأمة، مثل: الفقر، والتعليم، والوحدة السياسية، إذا ما أستُثمر بوعي وإخلاص في سبيل مرضاة الله[4].

1. مسند أحمد، تتمة مسند الأنصار، حديث رجل من أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.
2. الطبري، 2000، جامع البيان، 17 ـ 112.
3. الغزالي، 1997، إحياء علوم الدين، 1 /298.
4. زين الدين، 2010، الحج وأثره في الوحدة الإسلامية، مجلة الدراسات الإسلامية، ص 45.

الآثار الشخصية والمجتمعية للحج:

يتجاوز تأثير الحج الجوانب الروحية ليمتد إلى الحياة الشخصية والمجتمعية للحاج، فعند عودته، غالبًا ما يكون أكثر التزامًا بالقيم الإسلامية، مثل الصبر، والصدق، والكرم، متأثرًا بتجربته الإيمانية الخالصة لوجه الله تعالى، يقول سبحانه: {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ}(البقرة: 196)، وهي دعوة لإتمام العبادة بإخلاص ينعكس على سلوك الحاج وعلاقاته، كما يحفز الحديث النبوي: «العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ»[1]، الحاج لتحسين أخلاقه ومعاملاته لتتوافق مع مبادئ الشريعة الإسلامية وأحكامها[2].

وعلى المستوى المجتمعي، يساهم الحج في تعزيز التماسك الاجتماعي، حيث يعود الحاج متحلياً بقيم التسامح والتعاون، ما يؤثر إيجابًا في محيطه، كما ويدعم الاستعداد للحج الاقتصاد المحلي من خلال التجارة والخدمات المرتبطة به، مثل النقل والسكن، ويؤكد العلماء أن الحج يمكن أن يكون أداة لنشر الوعي الديني والاجتماعي إذا ما وُجِّه بشكل صحيح[3].

1. صحيح البخاري، كتاب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها.
2. ابن القيم، 1996، زاد المعاد، جـ 2، ص 89.
3. السعدي، 2000، تفسير السعدي، ص 112.

الخاتمة:

الحج واحد من أعظم الشعائر الإسلامية التي تجسد الانسجام بين الأبعاد الشرعية والروحية والاجتماعية، ليكون بذلك ركيزة أساسية تعكس جوهر الإسلام وغاياته السامية، فمن الناحية الشرعية، يمثل الحج فريضة إلهية تؤكد التزام المسلم بأوامر الله، ما يجعله اختبارًا للقدرة والإخلاص معًا، ومن الناحية الروحية، فهو رحلة تطهير داخلية تمنح الحاج فرصة للتوبة والعودة إلى الله بحالة نقية، ليصبح بذلك بوابة للارتقاء الروحي، وتعزيز الصلة بالخالق، وعلى الصعيد الاجتماعي، يظل الحج رمزًا خالدًا لوحدة الأمة الإسلامية، حيث يجتمع المسلمون من كل أنحاء العالم في مشهد إيماني مهيب، يمحو الفوارق، ويعزز التكافل والتضامن بين أبناء الأمة الواحدة.

إن الحج، بهذا المعنى العميق، ليس مجرد عبادة يؤديها المسلم مرة في العمر، بل هو دعوة مفتوحة للتأمل والتجديد، يحمل في طياته دروسًا حقيقية عن الإخلاص، والتضحية، والوحدة، إنه تجربة إيمانية تستحق الدراسة والبحث لاستخلاص عبرها وفوائدها التي تعود بالخير على الفرد والأمة.

ومع كل موسم حج جديد، يتجدد الأمل في أن يظل هذا الركن العظيم منارة تهدي المسلمين لتحقيق الخير والسلام في أنفسهم ومجتمعاتهم، ليبقى الحج شاهدًا حيًا على عظمة الإسلام وقدرته على جمع القلوب، وتوحيد الصفوف في عالم تتزايد فيه التحديات والانقسامات، فهو في نهاية المطاف، دعوة لكل مسلم ليعيش هذه الرحلة بقلب مفتوح، وعقل واعٍ، مستلهمًا منها القوة لمواجهة الحياة بروح متجددة، وإيمان راسخ.

أنت تسأل والمفتي يجيب

الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

1. حكم حج من عليه ديون مقسطة

السؤال: هل يجوز لي أداء فريضة الحج، وعليّ ديون مقسطة للبنك، بسبب قرض أخذته منه بفائدة، وحالياً لا أستطيع سداده دفعة واحدة؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فيحرم اللجوء إلى القروض الربوية، وينبغي لمن أخذها التخلص منها في أسرع وقت، والتوبة لله تعالى والاستغفار، والحج من العبادات التي تلزمها نفقة مالية، يشترط فيها أن تكون طيبة نقية من الحرام، حتى يكون حجك مبروراً، لما جاء في الحديث الشريف أن: (النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سُئِلَ، أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ)(*)، والحج المبرور هو الحج المقبول الذي لا تخالطه معصية، بأن يأتي الحاج

* صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور.

فيه بالواجبات والمستحبات، ويترك المحرمات والمكروهات، ويحج كما شرع الله، وكما حج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأن يكون ماله من الحلال الخالص، الذي لا شبهة فيه.

وبالنسبة إلى حج من عليه ديون؛ فمن شروط وجوب الحج الاستطاعة المالية، ومن ذلك توافر مال فاضل عن الديون، يكفي لنفقة الطريق والراحلة، قال تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} (آل عمران: 97)، ولا يجب على المرء أن يقترض لأداء الحج، وإذا اقترض وحجَّ، فحجه صحيح، إن شاء الله، إذا اكتمل أداؤه بأركانه وشروطه، ولا تعلق للدين أو المال بصحة الحج.

والدين الذي يمنع من الحج هو ما تحققت فيه الشروط الآتية:

الأول: أن يكون حالاً، فإن كان مؤجلاً؛ فيشترط فيه أن يعلم أن الذهاب إلى الحج لا يؤثر في سداده وقت حلوله، أو يغلب ذلك على ظنه.

الثاني: أن لا يأذن من له الدين، فإن أذن فلا بأس بالحج، ولو أدى ذلك إلى تأخير السداد.

الثالث: أن لا يوجد عنده ما يكفي لسداده، فإن وجد فلا يمنع الحج، ولو لم يأذن الدائن، لكن تسويف الغني ومماطلته في السداد ظلم.

وعليه؛ فينبغي أن تتوب إلى الله تعالى من القرض الربوي، وتبادر إلى التخلص منه سريعاً، وذلك مقدم على أداء الحج إن كان مالك لا يكفي لفعل الاثنين معاً.

2. حكم تجاوز الميقات دون إحرام

السؤال: سافرت أنا وزوجي وأولادي من فلسطين بنية العمرة في الطائرة من عَمان، فنزلنا في جدة دون إحرام، لأنه قيل لنا: إن مكة هذا اليوم مزدحمة بالمعتمرين، فانتظرنا يوماً واحداً، فهل يلزمنا الرجوع إلى آبار علي، أم نحرم من جدة؟

الجواب: شرع الله المواقيت المكانية في الحج والعمرة، لما جاء في الحديث الصحيح أن النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَقَّتَ لِأَهْلِ المَدِينَةِ ذَا الحُلَيْفَةِ، وَلِأَهْلِ الشَّأْمِ الجُحْفَةَ، وَلِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنَ المَنَازِلِ، وَلِأَهْلِ اليَمَنِ يَلَمْلَمَ، هُنَّ لَهُنَّ، وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِهِنَّ مِمَّنْ أَرَادَ الحَجَّ وَالعُمْرَةَ، وَمَنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ، فَمِنْ حَيْثُ أَنْشَأَ، حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ مَكَّةَ).[1]

والحاج أو المعتمر الذي يتجاوز الميقات دون إحرام، عليه أن يرجع إليه، أو إلى أي ميقات قريب عليه ليحرم منه، فإن لم يفعل لزمته الفدية، يقول السرخسي: ومن جاوز الميقات غير محرم، وأحرم من مكانه فعليه دم، وإن رجع فأحرم من الميقات فلا شيء عليه.[2]

وجدة تعد ميقاتًا لأهلها ولمن أنشأ النية فيها، أما من سافر إليها بنية الحج أو العمرة، فلا تعد ميقاتًا له، بل ينبغي أن يحرم بالحج عند محاذاة الميقات قبل دخول جدة، ويظل محرمًا حتى يذهب إلى مكة لأداء العمرة أو الحج، للحديث المذكور آنفاً.

---

1. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب مهل أهل مكة للحج والعمرة.
2. المبسوط للسرخسي: 4/ 107، الذخيرة: 3/ 208، بحر المذهب للروياني: 3/ 415، المغني لابن قدامة: 3/ 252.

3. حكم وقوف الحائض على عرفة

السؤال: في عام 1997م ذهبت والدتي إلى الحج مع والدي، وكان عمرها حينئذ 26 عاماً، وفي ليلة الوقوف على جبل عرفة حاضت، ولم تكن تدرك شروط الحج وواجباته، ومنعها الخجل من السؤال، فهل تلزمها إعادة الحج؟

الجواب: إن الحائض تقوم بشعائر الحج جميعها، من الوقوف بعرفة، والمبيت بمزدلفة، ورمي الجمار، والمبيت بمنى، والسعي بين الصفا والمروة، غير أنها لا تطوف بالبيت حتى تطهر، ولو سبق أنْ طَافَتْ قبل الحيض، صح ذلك منها[1]، فعن عائشة، رضي الله عنها، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (هَذَا شَيْءٌ كَتَبَهُ اللهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ، افْعَلِي مَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي)[2]

وطواف الإفاضة أو الزيارة ركن من أركان الحج، باتفاق الفقهاء لا يتم الحج إلا به، لقوله تعالى: {وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ}(الحج: 29)، ومن لم يطفه سواء أكان جاهلاً أم ناسياً لزمه الرجوع إلى مكة حتى يأتي به؛ لأنه ما يزال مُحْرِماً، ولا يجبر بدم، ويجب أداء هذا الركن قبل التحلل الأكبر من الإحرام، أي قبل معاشرة الأزواج، فإن حصلت المعاشرة قبل العودة لأداء هذا الركن الفائت، فتلزم إعادة الطواف، مع وجوب الفدية بدم، أي ذبح شاة من الغنم، أو سبع بدنة، أو سبع بقرة، تذبح في مكة، وتوزع على فقرائها.

وعليه؛ فلا يضير حج والدتك كونها كانت حائضاً خلال وقوفها بعرفة، وإن لم تطف الإفاضة، فقد نقص من حجها ركن، فيلزمها الرجوع في أي وقت، وأداء طواف الإفاضة، وتلزمها الفدية بدم.

---

1. توضيح الأحكام من بلوغ المرام بتصرف: 1 /463.
2. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام، وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقِران...

4. التوكيل في الحج عن المريض

السؤال: شخص يبلغ من العمر سبعة وسبعين عامًا، ومريض بمرض لا يرجى شفاؤه، ولم يحج من قبل، فهل يستطيع أن يحج شخص عنه، وعن أخته المتوفاة؟

الجواب: يشترط في الحج عن الغير، ما يأتي:

1. أن يكون الشخص المراد الحج عنه ميتاً، أو عاجزًا عن أداء الحج[1]، لما روي أن امرأة من خثعم جاءت إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فَقَالَتْ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا، لاَ يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ)[2]

2. أن يكون الذي يريد الحج عن غيره قد حج عن نفسه أولاً، فعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما: (أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ، قَالَ: مَنْ شُبْرُمَةُ؟، قَالَ: أَخٌ لِي - أَوْ قَرِيبٌ لِي - قَالَ: حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ؟، قَالَ: لَا، قَالَ: حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ)[3]

وعليه؛ فيجوز حج البدل عن الميت، وعن المريض مرضًا لا يرجى شفاؤه ضمن الشروط المبينة أعلاه، وأن يحج الموكل بالحج عن واحد في الحجة نفسها.

1. المجموع: 7/ 120، المغني: 5/ 66 - 67.
2. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله.
3. سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب الرجل يحج عن غيره، وصححه الألباني.

5. حكم سفر المعتدة من وفاة لأداء فريضة الحج

السؤال: توفي زوجي وأنا الآن في عدة وفاة، وأنوي أداء فريضة الحج هذا العام 1446هـ، راجية بيان الحكم الشرعي في سفري قبل انتهاء عدتي بأيام لأداء حج الفريضة التي لم يسبق لي أن أديتها؟

الجواب: رجّح مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين في قراره رقم: 3/ 84 بتاريخ 30/ 11/ 2010م -بعد أن ناقش المسألة باستفاضة- جواز حج المرأة المعتدة من وفاة، وأنه لا حرج عليها في ذلك ما دام الأمر يتعلق بالضرورة، فالواجب لا يترك إلا لواجب -كما قال الفقهاء- فإذا كانت قد سجلت للحج قبل وفاة زوجها، وحظيت بفرصة الإذن الرسمي لها بأدائه، وتوافرت لديها عناصر الاستطاعة، وكان حجها لأول مرة، وليس تطوعًا، فلا ضير من خروجها للحج قبل انتهاء عدتها؛ لأن حجها لا يتعارض مع المقصد الرئيس من العدة، وهو الإحداد وإظهار الوفاء للزوج، هذا مع توافر إمكانية إكمالها فترة العدة المطلوبة منها بعد أدائها فريضة الحج، وعودتها إلى منزلها من جهة ثانية.

6. حكم الصلاة في فندق في مكة

السؤال: هل الصلاة في فندق في مكة تعدل مائة ألف صلاة مثل الصلاة في المسجد الحرام؟

الجواب: قد ثبت أن أجر الصلاة في المسجد الحرام يزيد عن أجر الصلاة فيما سواه؛ لقوله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا

سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ).[1]

ولكن اختلف الفقهاء في المراد بالمسجد الحرام، فذهب بعضهم إلى أنه خاص بمسجد الكعبة، واستدلوا بالأحاديث التي خصصت هذا الفضل به، كقول النبي، صلى الله عليه وسلم، عن المسجد النبوي: (صَلَاةٌ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا مَسْجِدَ الْكَعْبَةِ)[2]

وذهب بعضهم إلى أنه يشمل الحرم كله، واستدلوا بقوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}(الإسراء: 1)، فذكرت الآية أن الإسراء كان من المسجد الحرام، مع أنه كان من بيت أم هانئ، فدل على أن المسجد الحرام يشمل الحرم كله [3]

ونرى أن لكل قول وجاهته، ولا تثريب على من أخذ بأحدهما، ولا ريب في أن الصلاة بمسجد الكعبة أفضل؛ خروجًا من الخلاف، وتحصيلًا لأجر الجماعة.

والله تعالى أعلم

والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل

1. سنن ابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي، صلى الله عليه وسلم، وصححه الألباني.
2. صحيح مسلم، كتاب الحج، بَابُ فَضْلِ الصَّلَاةِ بِمَسْجِدَيْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ.
3. حاشية ابن عابدين 2: 188، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام 1: 80، وتحفة الراكع والساجد ص:30، وإعلام الساجد بأحكام المساجد ص:119، وغيرها.

مضاعفة ثواب الطاعات

الشيخ د. محمد يوسف الحاج محمد / مفتي محافظة سلفيت

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، صادق الوعد الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد؛

فإن الله سبحانه وتعالى سيجمع الخلائق يوم القيامة ليحاسبهم حساب عدل ورحمة، يقول سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} (الأنبياء: 47)، والقسط هو العدل، فلا ينقص من إحسان محسن، ولا يزاد في إساءة مسيء، ومما جاء في الحديث القدسي: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا.. يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)(*)

وإنَّ حساب الله تعالى يتصف بالعدل التام، وتتجلى فيه صفات الكرم والرحمة، ومن ذلك تكثير الحسنات ومضاعفتها كرماً وعطاء منه سبحانه وتعالى، يقول عزَّ من قائل: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}(النساء: 40)،

* صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ.

والحسنة جاءت بصيغة التنكير لتدل على العموم، جاء في التفسير الوسيط في بيان معنى هذه الآية الكريمة: "إن الله- تعالى- بفضله وجوده لا يظلم الناس شيئاً، ولا ينقصهم أي نقص من ثواب أعمالهم، بل يجازيهم بها ويثيبهم عليها {وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها} أي وإن تك الفعلة الحسنة بالغة في القلة، مثقال ذرة، يضاعف ثوابها بكرمه وجوده أضعافاً كثيرة، وفوق ذلك فإنه -سبحانه- يعطى من يشاء إعطاءه عطاء عظيماً من عنده، ولا يعلم مقدار هذا العطاء إلا هو- سبحانه، وفي إضافة هذا العطاء العظيم إلى ذاته- تعالى- في قوله {مِنْ لَدُنْهُ} تشريف له، وتهويل من شأنه، وسماه أجراً كونه جزاء على العمل الصالح الذي عمله عباده المؤمنون الصادقون"[1]

ومما يبين هذا الكرم الإلهي العظيم ما جاء في صحيح مسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: (إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ، سَيِّئَةً وَاحِدَةً)[2]، وأخرج الإمام مسلم رواية أخرى لهذا الحديث فيها زيادة: (وَمَحَاهَا اللهُ وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ إِلَّا هَالِكٌ)[3]

1. طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط، 3 / 153، الطبعة: الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، 1431هـ

2. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب.

3. التخريج نفسه.

يقول ابن حجر الهيتمي في بيان منزلة هذا الحديث وأهميته: (هذا الحديث حديثٌ شريفٌ عظيمٌ، جامعٌ لأصناف الخير ومقادير الحسنات والسيئات، بيَّن فيه صلى اللَّه عليه وسلم، عن ربه ما تفضَّل اللَّه تعالى به على عبيده)(*).

ولو وقفنا عند بعض أهم الفوائد من هذا الحديث الشريف، فسنلاحظ أنَّ الله تعالى جعل الحسنة مستودعة عنده تعالى، فقال: (كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً)، وهذه العندية تدل على تشريف المؤمن، بجعل حسنته مستودعة عند الحي القيوم الكريم الرحيم.

ومن كرم الله تعالى وجوده، أنْ جعل مجرد الهمِّ بالعمل الصالح يكتب به حسنة كاملة، وكأن العبد قام بالعمل الصالح فعلاً، والهمُّ بالعمل لا يكلف الإنسان جهداً كبيراً، بل هو متاح للجميع، فالحديث يعلمنا الحرص على التفكير الإيجابي، فالتفكير هو أساس العمل، حيث إنه يسبق مراحل العمل كله، ولو قارنا الهمَّ بالخير بالهمِّ بالشر، لوجدنا الفرق بينهما كبير، يقول ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري: (وإنما جعل الهموم بالحسنة حسنةً، لأن الهموم بالخير هو فعل القلب بعقد النية على ذلك. فإن قيل: فكان ينبغي على هذا القول أن يكتب لمن همّ بالشرّ ولم يعمله سيئةً؛ لأن الهم بالشرّ عمل من أعمال القلب للشرّ. قيل: ليس كما توهمت، ومن كفّ عن فعل الشرّ فقد نسخ اعتقاده للسيئة باعتقاد آخر، نوى به الخير، وعصى هواه المريد

* الهيتمي، أحمد بن محمد، الفتح المبين بشرح الأربعين ص: 593، الطبعة: الأولى، دار المنهاج، جدة - المملكة العربية السعودية، 1428 هـ - 2008 م.

للشرّ، فذلك عمل للقلب من أعمال الخير، فجوزي على ذلك بحسنة[1]، وهذا كقوله، صلى الله عليه وسلم: (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، قَالَ قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ، قَالَ قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوِ الْخَيْرِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ)[2]

فالسيئة المتروكة لله عمل صالح، وهذا يفترق عن التارك للسيئة؛ لأنه لم يقدر عليها، كمن أراد شرب المحرمات فلم يقدر على ثمنها مثلاً، فهذا لا أجر له، يقول الخطابي في أعلام الحديث: (ومن هم بسيئة فلم يعملها، كتبها الله له عنده حسنة كاملة، هذا إذا لم يعملها تاركاً لها مع القدرة عليها، لا إذا هم بها فلم يعملها مع العجز عنها وعدم القدرة عليها، ولا يسمى الإنسان تاركاً للشيء الذي لا يتوهم قدرته عليه)[3]

ومن عظيم منَّة الله على المؤمنين أن جعل ثواب أعمالهم مضاعفاً بسقف مفتوح، فعمل الخير يكتب به حسنة، وكل حسنة تضاعف أقل شيء عشر مرات، ثم تضاعف إلى سبعمائة ضعف، ثم تضاعف إلى أضعاف كثيرة، أي أكثر من سبعمائة ضعف، والسؤال: ما علَّة مضاعفة الحسنات بشكل متفاوت؟

1. ابن بطال، علي بن خلف، شرح صحيح البخاري لابن بطال، 10 / 200 . تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الطبعة: الثانية، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، 1423هـ - 2003م.
2. صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.
3. الخطابي، حمد بن محمد، أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، 3 / 2252، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الطبعة: الأولى، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، 1409هـ - 1988 م، المؤلف: أبو سليمان الخطابي (ت 388 هـ).

أجاب عن ذلك حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، بما ملخصه: (... الطَّاعَاتُ وَهِيَ مُرْتَبِطَةٌ بِالنِّيَّاتِ فِي أَصْلِ صِحَّتِهَا، وَفِي تَضَاعُفِ فَضْلِهَا، أَمَّا الْأَصْلُ فَهُوَ أَنْ يَنْوِيَ بِهَا عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى لَا غَيْرُ؛ فَإِنْ نَوَى الرِّيَاءَ صَارَتْ عصِيَةً، وَأَمَّا تَضَاعُفُ الْفَضْلِ فَبِكَثْرَةِ النِّيَّاتِ الْحَسَنَةِ)[1]، ثم مَثَّلَ لذلك بالجلوس في المسجد، فهو طاعة قد تكون بنيات عديدة، منها: الاعتكاف، وانتظار الصلاة، والأمر بالمعروف، وتعلم أمور الدين وتعليمها، والاعتزال لذكر الله تعالى، والبحث عن الأخ الصالح، فكلما كثرت المقاصد الحسنة من الفعل الواحد عظم أجره.[2]

ويقول الهيتمي في ذلك: (... وهذا التضعيف ملازمٌ لكل حسنةٍ؛ كما دلَّ عليه قوله تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} [الأنعام: 160] ثم ضُوعفت لمن يشاء اللَّه تعالى، واللَّه يضاعف لمن يشاء مضاعفةً أخرى (إلى سبع مئة ضعف) على حسب ما قد اقترن بها من إخلاص النية وإيقاعها في محالِّها التي هي بها أَولى وأَحرى"[3]

وللشيخ عبد الرحمن السعدي، رحمه الله تعالى، رسالة في ذلك عنوانها: "الأسباب والأعمال التي يضاعف بها الثواب"، فعدَّ من تلك الأسباب تحقيق الإخلاص لله في العمل، وعموم نفع العمل؛ كالجهاد في سبيل الله، وتعلم العلم النافع وتعليمه، والتسبب في الخير والدلالة عليه، والكسب الطيب، واختيار شرف المكان وشرف الزمان، ومدافعة المعارضات الداخلية والخارجية للعمل الصالح، والاجتهاد في تحقيق مقام الإحسان.[4]

1. الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ص: 371، دار المعرفة – بيروت.
2. المرجع السابق.
3. الهيتمي، أحمد بن محمد، الفتح المبين بشرح الأربعين، ص: 585.
4. السعدي، عبد الرحمن، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي، المجلد السابع، ص: 35 - 39، مركز صالح ابن صالح الثقافي، المملكة العربية السعودية، 1411هـ

أما في جانب السيئات، فإنها لا تكتب على الإنسان إلا سيئة واحدة، ولا تتضاعف عليه، مع أن السيئة يعظم إثمها إذا فعلها الإنسان في مكان شريف أو وقت فاضل، فمن يعصي الله تعالى في بيته ليس كمن يجاهر بالمعصية، وأشنع من ذلك فعل المعصية في بيت الله، وأسوأ من ذلك فعل المعصية في بيت الله الحرام، وكذلك من يعصي الله في رمضان أو الأشهر الحرم أشد إثماً ممن يعصي الله في سائر الأشهر، فالسيئات لا تتضاعف في العدد، بل بالكيفية الدالة على زيادة في الجرأة على محارم الله.

ومع ذلك؛ فإن السيئة قد يغفرها الله تعالى، للحديث السابق: (وَمَحَاهَا اللهُ، وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ إِلَّا هَالِكٌ)، أي أن الله يعفو عن المذنب برفع العقوبة عنه، ويغفر الذنب بأن يمحوه من سجل العمل، ويصفح عن التائب بأن يبدل سيئاته حسنات بحسب صدق التوبة، ولذا من لم ينفعه تكثير الحسنات، ولم يتب ليغفر له ذنبه، فكانت سيئاته رغم عدم تضعيفها أكثر من حسناته رغم تضعيفها عشر مرات على أقل تقدير، فهو مستحق للهلاك حقاً، وهذا معنى: (ولا يهلك على الله إلا هالك).

نسأله تعالى العفو والعافية والمعافاة التامة في الدين والدنيا والآخرة.

خطر الإشاعة

أ. كمال بواطنة

الإشاعة من الأخطار التي تهدّد حياة الناس أفراداً وأُسراً وجماعات ومجتمعات ودولاً، وخطرها وبيل، وقد رأينا الإسلام يحاربها؛ وقاية للمجتمع، وحماية له، ودرءاً للمفاسد التي تسبّبها.

معنى الإشاعة:

الإشاعة مصدر للفعل المزيد (أشاع)، بمعنى أذاع وأفشى خبراً أو واقعة على غير حقيقة، تتقاذفهما الألسن، وتنطلق بهما بلا خطام ولا زمام، وقد تزيد عليهما، فيصبحان مثل كرة الثلج، أو البالون الذي ينفخ فيه، فيكبر.

الإسلام يحذّر من الإشاعة:

في سورة الحجرات سورة التهذيب نقرأ قوله سبحانه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} (الحجرات:6)، والخطاب في الآية موجّه للمؤمنين، وفيه دعوة إلى التثبّت والتبيّن قبل إذاعة الخبر ونشره، فقد يكون من أتى بالخبر فاسقاً خارجاً عن طريق الحقّ والصواب، وله مآرب، تخالف الحقّ، والمؤمن يسمع، ثمّ يعرض ما سمعه على القلب، ويُحكّم العقل قبل أن ينطق اللسان.

في هدي نبيّنا، صلّى الله عليه وسلّم، نقرأ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[1]، وفي رواية «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[2]، فمن أراد أن يجمع أكبر حظّ من الكذب والإثم، فليحدّث بكلّ ما سمع دون غربلة وتمحيص، وعجيب أنّ كثيراً من المسموعات تكون مجهولة المصدر، ومع هذا يروّجها الناس، ويشيعونها إمّا عن خبث وسوء طويّة، وإمّا عن جهالة.

والمؤمن لا يظلم نفسه، فلا يشارك فيما لا يعلم، فلا يكون إمّعة، ولا يشارك في ظلم إنسان وهو يوقن أنّه سيأتي ربّه فرداً {وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} (مريم: 95)، وما دام هناك احتمال لبراءة التي أو الذي أشيع عنها أو عنه، فلا تدخل نفسك خصماً أمام الله، وبخاصّة أنّ كثيراً من الشائعات مصدرها الأعداء، وتقوم على الظنّ {إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغنِي مِنَ ٱلحَقِّ شَيئاً} (النجم:28).

القرآن الكريم يوجّه:

في سورة النساء نتدبّر قوله تعالى: {وَإِذَا جَآءَهُم أَمر مِّنَ ٱلأَمنِ أَوِ ٱلخَوفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَو رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي ٱلأَمرِ مِنهُم لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَستَنبِطُونَهُ مِنهُم وَلَولَا فَضلُ ٱللَّهِ عَلَيكُم وَرَحمَتُهُ لَاتَّبَعتُمُ ٱلشَّيطنَ إِلَّا قَلِيلا} (النساء: 83)، فبعض الناس لا يملك القدرة على الاستنباط، ومعرفة ما وراء الخبر، وأحرى بهذا وأمثاله أن يرجعوا إلى أهل الاختصاص، فهم أدرى، وكثير من الأخبار التي أشاعها الأعداء لأغراض خبيثة تبيّن عدم صحّتها، والناس كانوا يتلقفونها، ويشيعونها، وكان الهدف منها الفتنة، وتحطيم الدول.

1. صحيح مسلم، مقدمة الإمام مسلم رحمه الله، باب النهي على الحديث بكل ما سمع.
2. سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، صححه الألباني.

درس من حديث الإفك:

من الدروس النافعة ما كان من تداعيات حديث الإفك في حقّ الصدّيقة بنت الصدّيق، رضي الله عنهما، زوج أطهر الخلق، وقد قال القرآن: {لَا تَحسَبُوهُ شَرا لَّكُم بَل هُوَ خَير لكُم} (النور:11)، وفي هذه الحادثة خاضت الألسن بلا دليل، وبعيداً عن حسن الظنّ، وكان الخائضون يتناقلون الحديث بألسنتهم بمجرد سماعه {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيم}(النور: 15)، ولم يفكّر هؤلاء الخائضون في مقام النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، وقربه من ربّه، ومقام الصدّيق صاحب رسول الله، رضي الله عنه، ولا في مقام عائشة، رضي الله عنها، وهي أحبّ نساء النبيّ، صلى الله عليه وسلم، إلى قلبه، وعاشت في بيته، وتربّت في بيت الصديق، على التقى والورع، ولا يعقل أن تنزلق وهي المُحْصَنَةُ المُحَصَّنَةُ إلى فاحشة.

أربعون يوماً والإشاعة تنتشر، وبيت النبوّة يعاني إلى أن تأتي البراءة في بضع آيات من سورة النور، تكشف الحقيقة، وتفضح هذا الإفك، وتعظ المؤمنين ألا يعودوا لمثله أبداً {يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثلِهِ أَبَدًا إِن كنتم مؤمِنِينَ}(النور: 17)

بعض الناس، ومنهم المنافقون مثل السوس في المجتمع، ينخرون بناءه من الداخل؛ لينهار، وليت المؤمنين يتعلّمون، فيعرفون هؤلاء في لحن القول، ومن خلال صفاتهم التي ذكرها القرآن الكريم، وذكرتها السنة المطهرة، فلا يلدغون من الجحر الواحد مرّات ومرات!

دروس من التاريخ:

التاريخ هو علم المستقبل، ومن يجهل تاريخه كمن فقد ذاكرته، ولن يبصر حاضره، ويرسم مستقبله، وفي التاريخ حوادث، منها الدامية التي كان سببها الإشاعة، فعثمان، رضي الله عنه، قتل بسبب الإشاعة، حين زعموا أنّه يقرّب أقاربه في المناصب والولايات، مع أنّ غالبهم عيّن في زمان الفاروق، رضي الله عنه، وقد رأينا من ألغى عقله، وانساق مع الهوى، وقُتل ذو النورين وهو صائم يتلو القرآن، ولعلّ الفتن التي حدثت في زمان عليّ، رضي الله عنه، أجّج إوارها الإشاعات الكاذبة، والذي يبحث في التاريخ يدرك هذا.

إشاعة كبيرة تبيّن كذبها:

من الإشاعات التي ردّدها المرجفون، وعشعشت في عقولنا لعقود أنّ جيش المحتلّ لا يقهر، وهذه الإشاعة ترتّب عليها إخفاقات في مسيرة الأمّة، ومنها الهرولة إلى الصلح، والتفريط بالحقوق، وعقد المعاهدات، حتّى من الدول العربية البعيدة، وقد بيّنت الحروب أنّ هذا لا يوافق الحقيقة، فبعد حرب عام 1967م لم ينتصر هذا الجيش في معركة، وهذا يبيّن خطر الشائعات في الفتّ في عضد الأمّة، ومثل هذه الإشاعة تردّدت عن جيش المغول عندما غزا بلاد المسلمين، في القرن السابع الهجريّ، وهزم في النهاية شرّ هزيمة.

الإنترنت والشائعات:

على الرغم ممّا في (الإنترنت) من منافع، فإن فيه من المثالب ما فيه، ومنها نشر الشائعات الكاذبة، والخبر الكاذب أكثر انتشاراً من الخبر الصادق، وكثير من المستخدمين يتعاملون مع ما ينشر من أخبار ووقائع على أنّه يقين لا يخالطه شكّ،

فتراهم يبدون الإعجاب بلا رويّة، بل تراهم يشاركون، فيساهمون في نشر الشائعة دون التفكّر في آثارها، فقد يكون فيها ظلم لبريء، وقد يكون فيها هدم لأسرة، وقد يكون فيها قذف لعرض امرأة شريفة، وقد يكون فيها خدمة للأعداء، وتهديد أمن الأمّة...

إنّ ما ينشر في مواقع النت وصفحاته من إشاعات مضللة يتطلب وقفة مسؤولة من الجهات ذات العلاقة، فليست أعراض الناس، وسمعتهم، وأسرارهم كلأً مباحاً، ومن المحزن أنّ بعض الأنظمة تتابع ما يجري في النت بأدقّ التفاصيل فيما يتعلّق بالحاكم وتابعيه، فتحاسب على الحرف والكلمة والصورة...، ولكنّها لا تعطي كبير اهتمام لضحايا النت من الأفراد والأسر!

إنّ المتابع للمسموع والمرئيّ يدرك أنّ إذاعات وقنوات كثيرة في بلاد المسلمين قائمة على نشر الشائعات، وعندما تسمعها لا يخامرك شكّ في أنّها مأجورة، وأجندتها واضحة، وأهدافها مكشوفة.

علاج الإشاعة:

لعلّ الحصانة الدينيّة من أهمّ العوامل التي نحارب من خلالها الإشاعة، والمُحصّن دينياً لا يطلق للسانه العنان، بل تراه يحبس لسانه، ولا يطلقه إلا في خير، بأمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو كلمة طيّبة، والمحصّن دينياً يعرف حرمة الأعراض، وحرمة القذف، وحرمة الأنفس، فتراه يحسن الظنّ {لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ}(النور: 12)، ويعجبني بعض الناس تجري الإشاعة في بلده على كثير من الألسنة، ولكنّه يحسن الظنّ، فلا يشارك في إذاعتها.

بعض الناس فاشل في حياته، فتراه يريد شمّاعة يعلّق عليها فشله، فيتعلّق بكلّ إشاعة تقدح في جدّ الجادّين ونجاح الناجحين؛ أملاً منه في وضع العثرات في طريقهم، وكان أولى به أن ينشغل بإصلاح نفسه، والبحث عن سبل النجاح، ولو أنفق الوقت الذي يبذله في نشر الشائعات في إصلاح نفسه لكان له أنفع.

من الناس من تلبّس بالجهل، فتراه يتوهّم أنّه يعلم كلّ شيء، وهو عن حسن قصد يردّد الإشاعات، ومثل هذا ينبغي أن يتعلّم، وأن يسمع ممّن يعلمون، فلا يكون مثل مأجور يعمل مجاناً لصالح الأعداء وهو لا يدري، وبخاصة في الأمور السياسيّة، التي يجهل كثير منّا خفاياها، فما يعلن عنه قد يخالف المخفيّ، وقد قيل: العلم شيء، والإعلام شيء آخر، فليس كلّ ما ينشر في وسائل الإعلام يوافق الواقع، ومن الطبيعي أن لا يطلع عامّة الناس على كلّ ما يجري.

هناك طابور خامس مَهمتهم نشر الشائعات، وقد رأينا بعضهم يعترف بذلك، وتنشر اعترافاته بعد كشفه على الملأ، والمسلم لا يكون خبّاً، والخبّ لا يخدعه، وليكن من بعض الناس، والذين ليسوا ثقة على حذر، ولا يقبل لنفسه أن يكون بوقاً لغيره من دون تثبّت.

من الخير ألا يُترك من يروجون الإشاعات بغير عقاب، وفي القصاص حياة، ولا بدّ من سنّ التشريعات التي تحمي الناس من شرور الإشاعات، وقبل ذلك لا بدّ من التوعية، والواعي يميز الخبيث.

هدانا الله لأحسن القول وصالح العمل

في ذكرى النكبة (77)

قرية (ديرأبان) المنكوبة والمهجّرة سنة 1948م

أ. يوسف عدوي / باحث وكاتب ومحاضر جامعي

المقدمة:

الحمد لله المنتقم من المجرمين، الحمد لله قاهر الظالمين، وناصر المؤمنين، الحمد لله الذي منّ على المستضعفين بجعلهم أئمة ووارثين، والصلاة والسلام على النبي المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن استنّ بسنته إلى يوم الدين، وبعد؛

فإنه، وبعد (77) سنة على النكبة المستمرة التي كان سببها المشروع الصهيوني اليهودي الغربي، المتمثل في إقامة كيان صهيوني في فلسطين، يفرض سيطرته على منطقة الشرق الأوسط كلّها، بل على العالم بأسره، منطلقاً من فلسطين التي ادّعوا أنها أرض بلا شعب، ستصبح لشعب بلا أرض، وأنه ليس هناك شعب فلسطيني على الكرة الأرضية كما يدعون، وبتآمر دولي، وصمت عالمي يشهد على الانتهاكات الجسيمة منذ النكبة حتى هذه اللحظة للحقوق الفلسطينية. وأخذت ذروتها في الإبادة الجماعية والتطهير العرقي في قطاع غزة منذ السابع من تشرين الأول حتى كتابة هذه السطور، حيث مرَّ أكثر من (18) شهراً على القتل، والتدمير، والتجويع، والحصار، والقصف،

والاعتقالات، والتعذيب، وتقييد الحريات، في واقع لم يحصل مثله في التاريخ.

ووفاءً وانتماءً لقرانا ومدننا المنكوبة، وجب علينا الوقوف في وجه حملات الطمس، والتزييف لتاريخنا وتراثنا، من خلال ترسيخ تاريخ هذه القرى في أذهان شعبنا وطلابنا وأطفالنا بالكتابة عنها، والحديث الدائم حولها، فالصهيونية تعمل جاهدة إلى محو آثار شعبنا وتاريخه، وتغييب ماضيه، كما يسعون حثيثاً لمحو حاضره ومستقبله، لكننا هنا باقون صامدون، متجذرون كما الزيتون في أرضنا، وستعود ملايين الضحايا واللاجئين، ضحايا الظلم ظلم هذا العالم الذي أصبح بلا ضمير، ولا أخلاق، ولا إنسانية، ولا مبادئ، ستعود إلى أراضيها ومدنها وقراها التي هُجّرت عنها بقوة السلاح والإرهاب، وفي هذه الذكرى رأيت أن أكتب عن قرية منكوبة ومهجرة، ينتظر أهلها وسائر أهالي القرى والمدن المهجرة سنة (1948م) أن تكون هناك نهاية لعذاباتهم وتشردهم منذ (77) سنة بالعودة إليها، إنها قرية (ديرأبان) الواقعة ضمن قضاء القدس.

أصل التسمية:

عرفت قرية (ديرأبان) في العهد الروماني باسم (أبينزيز) وهي من أعمال بيت جرين[*]، ويقول الأستاذ الباحث عبد العزيز أبو هدبا، مؤلف الكتاب القيّم (قرية ديرأبان) وهو أحد المعروفين المتميزين في ديرأبان، المولود فيها سنة 1935م: «ديرأبان عرفت بهذا الاسم منذ الفتح الإسلامي لفلسطين، وسبب تسميتها بهذا الاسم يرجع إلى أنه كان في القرية دير أنشئ في فترة انتشار حركة بناء الأديرة في فلسطين

* الموسوعة الفلسطينية، المجلد2، ص421.

في القرنين الرابع والخامس الميلاديين، وأوكل هذا الدير في القرية إلى أحد الصحابة، ممّن يحملون اسم (أبان) حيث نسب إليه، ولم يحولوا الدير إلى مسجد، بل أبقوا عليه، وأقاموا مسجداً إلى الجنوب من موقع الدير، عرف (بالعمري).[1]

قرى تحمل الاسم نفسه:

توجد قريتان تحملان الاسم نفسه، واحدة في فلسطين، والأخرى في سوريا، أما التي في فلسطين (ديرأبان) التي تقع على رأس جبل في قضاء طولكرم، قرب الحدود الجنوبية لقرية كفر اللبد. والتي تقع في سوريا (ديرأبان) من قرى غوطة دمشق[2]، وتوجد مدينة تحمل اسماً قريباً من قريتنا تقع في جنوب إفريقيا اسمها (ديربان) وهي ثالث أكبر مدينة من حيث عدد السكان في جنوب إفريقيا.[3]

الموقع والمساحة:

تقع قرية (ديرأبان) على بعد (25) كم غرب مدينة القدس، وتبعد عن مدينة الرملة عن طريق باب الواد (32) كم، وعندما احتلتها العصابات الصهيونية سنة (1948م) وهجر أهلها عنها بقوة السلاح والإرهاب، كانت تتبع قضاء القدس، أمّا كما ورد في كتاب حسين روحي الخالدي (المختصر في جغرافية فلسطين) الصادر سنة 1923م، فإنها كانت تتبع أيام الاحتلال البريطاني مدينة الرملة. وكان عدد سكان القرية في إحصاء سنة 1922م (1214) نسمة.[4]

1. عبد العزيز أبو هدبا، قرية ديرأبان، ص22.
2. المرجع السابق، ص23.
3. Wikipedia.org، أمكن الرجوع إليه في 5 /12 /2024م.
4. حسين روحي الخالدي، المختصر في جغرافية فلسطين، ص101.

لقد تنقلت القرية في تبعيتها الإدارية إلى ثلاث مدن، منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وحتى الأربعينيات من القرن العشرين، ويعود السبب في ذلك إلى أن القرية تقع في مكان متوسط بين ثلاث مدن، هي: القدس، والخليل، والرملة، فطوال العهد العثماني كانت تتبع ناحية القدس، وفي أواخر هذا العهد حوالي سنة (1874م) ضمت إلى قضاء الخليل، حتى سنة 1921م، ثمَّ انتقلت إلى قضاء الرملة حتى سنة 1941م، ثم عادت إلى التبعية الإدارية إلى مدينة القدس، وتبلغ مساحة القرية المقامة عليها مبانيها (54) دونماً، ومساحة أراضيها (22748) دونماً، وتحيط بالقرية قرى: سفلى، وجراش، ودير الهوا وبيت نتيف، وصرعة، ودير رافات. وأقرب قرية عليها قرية جراش[1].

السكان والعشائر والعائلات:

كما أسلفنا سابقاً، كان عدد سكان القرية سنة 1922م (1214) نسمة، وسنة 1931م (1524) نسمة، وفي عام 1945م (2100) نسمة[2]، وبلغ عددهم سنة التهجير صباح يوم 18 /10 /1948م (2519) نسمة، وأقدم إحصاء لسكان القرية كان قبل أكثر من (420) سنة، حيث بلغ عدد سكان ديرأبان سنة 1597م (230) نسمة، وبالنسبة إلى تركيبة الحمائل والعائلات في القرية، فإنها تتألف من أربع حمائل، وهي: ابن هذيل، والدعامسة، والقراملة، والوعرة، وسكان القرية في أصولهم يرتدون إلى جماعتين اثنتين، فتشكل حامولتا ابن هذيل والوعرة جماعة واحدة، وتشكّل حامولتا الدعامسة

1. رشاد أبو جودة، مدينة القدس وقراها المنهوبة والمدمرة عام 948م، ص61.
2. مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، 8/ 188 - 189.

والقراملة الجماعة الأخرى، وكان لكل من الجماعتين مختار، لذا كان في القرية مختاران حتى سنة 1948م.(*) وخضعت حركة سكان القرية كغيرها من قرى فلسطين إلى عوامل مختلفة، منها: الحروب والغزوات الخارجية، والنزاعات داخل البلد بين الأحزاب والقيادات المختلفة، مثل: قيس، ويمن، والنزاعات داخل القرية، كحالات القتل، ونزوح بعض العائلات جراء ذلك، والعوامل الاقتصادية، والوظائف، فيضطر موظف أن يسكن القرية، ثم يتزوج من أهلها، فيصبح من سكانها، مثل: الشيخ حسن أبو ليلى ، ودار الأفندي. وتندرج تحت الحمائل الأربعة الرئيسة العائلات الآتية:

1 - **حمولة ابن هذيل،** وعائلاتها: أبو سخن (سالم، ومسلم، وخليل)، والأفندي، وحسنين، وخليف، وربيع، وزيادة، وسالم علي، وسرحان، وسويد (فرحان، وأنيس، ودعسان، ومحمد)، وشاهين، وغنيم، والفرارجة (عبدالله، والحاج علي، ووادي).

2 - **حمولة الدعامسة**: الخمس الأول: دار إبراهيم حسن، وأبو هدبا، وأبو مشمس، وصبيحة ومحمد، وزياد، والأخرس، وأحمد داود، وأحمد يوسف، وشعلان، وعبد النبي، وعلي حسين، ومحيسن، والخمس الثاني: الصدوق، وهم دار عبد العزيز يوسف، وجاد الله عثمان، وحسين إبراهيم، وخليل عبد الحافظ، وناجي يوسف، وإسماعيل صافي، وحقروص، والباز، والقباني والنويهي، وإسماعيل العبيد، والمساعيد، ومنهم: دار إبراهيم حسن وصباح، وأبو الكراعين، وسعادة، وعبد القادر مصطفى، وعوض الله، والبرميل، والكسابرة، ومنهم: دار ذيبان، وزاهر، وزيدان، وعوض الله، والصليبي، وعودة، ومسلّم.

* عبد العزيز أبو هدبا، قرية ديرأبان، ص41 - 43.

3 - **حمولة القراملة:** دار خليل، وأبو عيشة، وحماد، ومحيسن، والعسعيس، وأبو سلامة، وأبو عثمان، وجعارة، ودعسان (عثمان، وعدوان، وخليل) والملاح، وأبو تينة، وأبو ليلى.

4 - **حمولة الوعرة:** دار أبو سلامة، وشريم، والبيظة (رشيدة، وبيوض، وعميرة، وعامر) وخليفة، وعبد الدايم، وعطوة، وعطا الله، والغزال، وغنّام، والشيخ عبد القادر.[1]

خرب القرية:

معلوم أن الصهاينة المحتلين دمروا القرية، وأقاموا على موقعها سنة 1950م المستوطنات الآتية: محسياه، وبيت شيمش، وزانوح، وموشاف يشفي، وكيبوتس صرعا[2]، وتوجد الخرب الآتية في قرية (ديرأبان): خربة الصياغ وتحتوي على أساسات، وحجارة، ومعصرة. وخربة وادي علين: وفيها جدران متهدمة، وصهاريج منقورة في الصخر، ومحرس. وطريق قديمة، وقبور. وخربة النياتة: وفيها أساسات، وصهاريج، ومعاصر زيتون، وطواحين، وحوض، وقصور.[3]

الزراعة والمياه في القرية:

تعد الزراعة الشريان الرئيس لقرية (ديرأبان)، فهي من موارد الرزق المهمة فيها، فمعظم أهل القرية يعملون في الزراعة، وتتكون أراضي القرية في معظمها من الأراضي الرسوبية الغرينية، وفي القرية أراضٍ سهلية، وكلسية، وطبيعة أراضي القرية

1. عبد العزيز أبو هدبا، قرية ديرأبان، ص43 - 61.
2. مقابلة مع الدكتور عدنان الأفندي في 25 /12 /2024م .
3. رشاد أبو جودة، مدينة القدس وقراها المنهوبة والمدمرة عام 1948م، ص62.

الطبوغرافية تجمع بين الأراضي السهلية والجبلية والأودية: كوادي الصرار، ووادي أبو خشبة، ووادي قريقع، ووادي الخانق، ووادي شعب بير النحل. ومن أهم المزروعات في (ديرأبان):

1 - الحبوب: ويأتي القمح في مقدمتها، حيث اشتهرت (ديرأبان) بأنواع معينة من القمح، وصلت شهرتها إلى قرى الخليل، وبيت لحم، والقدس، ورام الله والبيرة، حتى إن نساء مدينة البيرة يغنين عن القمح الديرأباني:

يـا قـمـح ديرأباني — يـا طالع على المية
يـا قـمـح ديرأباني — يـا غـالـــي عـلـيـة
عرقه زي الصـــوان — عمـــري ماريت زيه
يا طوله عــود الزان — غــاوي وشبعان غيه
يا خــالي من الزوان — الـكيس يـسـوى ميّه

ومن أنواع القمح التي كانت تزرع حسب مسميات أهل القرية: أبو حريبة والأكحل، والدّبية، والقطمة، والنورسية، وكف الرحمن، وجناح الغراب، وسن الجمل، ومن الحبوب التي كانت تُزرع في (ديرأبان): الشعير، والعدس، والحمص، والكرسنة، والفول، والذرة.

2 - الأشجار: كانت مساحة الأرض المزروعة بالأشجار في (ديرأبان) لا تزيد عن 4 ٪ من مساحتها الكلية، وأهم الأشجار المزروعة في هذه المساحة: الزيتون، والتين، والعنب، واللوز، والصبر، وانتشرت الأشجار الحرجية في الجهة الغربية والشمالية الجنوبية، وأهمها الصنوبر، والسرو، والكينيا، والخروب.(*)

* عبد العزيز أبو هدبا، قرية ديرأبان، ص184 – 206، وانظر معجم بلدان فلسطين، محمد شراب، ص381.

الأمطار والمياه في القرية:

معدل هطول الأمطار السنوي في (ديرأبان) تقريباً (516) ملم، وعدد الأيام الماطرة هي (68) يوماً، لذا اعتمدت القرية على المياه المجموعة في فصل الشتاء لاستعمالها في الشرب وغيره، حيث كان حفر البئر يسبق إقامة البيت في معظم الأحيان. وقد عانت القرية من شح المياه مدة طويلة، خاصة في السنوات قليلة الأمطار، وكان أهل القرية يعمدون إلى سدّ حاجتهم من الماء من ينابيع ماء بعيدة: كعين الدلبة التي تبعد عن القرية (3) كم، وعين مرجلين التي تبعد عن القرية (5) كم، وعين فطير التي تبعد عن القرية (4) كم، ومعظم الطرق المؤدية إلى هذه العيون شديدة الوعورة، وأهم العيون والينابيع والآبار في القرية: نبع الحفيرة، وبئر الثمد، وبئر النخل، وعين أم عبوش، وعين بولص، وعين البصة، وعين الخسفة، وبئر الليمون، والعين البيضاء.

التعليم في القرية:

لم يكن حظ القرية في مجال التعليم بأحسن من حظ غيرها من القرى الفلسطينية، حيث كان التعليم في نهاية العهد العثماني يتم في القرية في بيت الشيخ، ثم في الجامع العمري، وأقيم أول بناء مدرسي رسمي سنة 1937م، مكون من غرفتين، وفي العام 1946م تم إضافة غرفتين إضافيتين للمدرسة، وما يدل على اهتمام أهالي القرية بالتعليم سعة مساحة المدرسة التي بلغت حوالي (35) دونماً بما يشمل أقسام الطلاب، وبناية المدرسة وساحاتها.

ومن ناحية المراحل التعليمية في مدرسة القرية كان الصف الرابع الابتدائي أعلى صف فيها حتى سنة 1946م، ومن يريد أن يكمل تعليمه بعد الصف الرابع عليه الذهاب

إلى مدرسة قرية إشوع، على بعد (5) كم إلى الشمال من القرية، والتي كان أعلى صف فيها هو السابع، وفي سنة 1947م افتتح في مدرسة (ديرأبان) الصف الخامس الابتدائي، ومن المعلمين الذين علموا في (ديرأبان) خلال الأربعينيات: الأستاذ عطا الوحوش من حلحول، والأستاذ الشيخ محمد الباز من (ديرأبان)، والأستاذ محمد حامد من حوسان. ولم يكن في القرية مدرسة خاصة بالإناث، حيث كانت القليل من الفتيات يدرسن مع الذكور، عرف منهنّ: جازية محمد الباز، وجميلة حسن أبو هدبا، وهند يوسف عبد العزيز، ومن الطلاب الذين أنهوا الصف الخامس: محمد يوسف الأفندي، وعبد العزيز حسن أبو هدبا، ويوسف إبراهيم إشريم، ونجيب ذيب بيوض، وإبراهيم محمد عدوان.(*)

احتلال القرية:

عمل الإنجليز منذ احتلال فلسطين سنة 1917م جاهدين على تهيئة الأجواء لإقامة الكيان الصهيوني اليهودي، وكان هذا الهدف يتطلب العمل في مجالين، هما: المجال اليهودي المتمثل في الدعم المطلق لليهود وتدريبهم، وتسليحهم، وحمايتهم، والمجال العربي: المتمثل بحصارهم، وخنقهم، وهدم منازلهم، وقتلهم، وإعدامهم بالجملة، ومرت على القرية، سنة النكبة 1948م، ظروف صعبة جداً، خاصة في الشهور الثلاثة الأخيرة التي سبقت التهجير، والتي تمثلت بالهجوم اليهودي الصهيوني في 14 /7 /1948م الذي استمر على القرية حتى 18 /10 /1948م هو اليوم الذي احتلت فيه العصابات الصهيونية القرية خلال

* عبد العزيز أبو هدبا، قرية ديرأبان، ص237 - 260.

الهدنة الثانية بين العرب واليهود، والتي عقدت في 17 /7 /1948م بناء على قرار مجلس الأمن في 15 /7 /1948م. وقد أورد عارف العارف اسم قرية (ديرأبان) ضمن (22) قرية احتلها الصهاينة خلال الهدنة.[1]

فهذا ديدن اليهود لا يحترمون ميثاقاً، ولا عقداً، ولا صلحاً، ولا هدنة. قال تعالى : {لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ} (التوبة :10)، ومن المعارك التي أوقع فيها المقاتلون من قرية (ديرأبان) خسائر فادحة في العصابات الصهيونية معركة وادي علين في 18 /1 /1948م، ومعركة باب الماصية في 19 /3 /1948م، ومعركة 16/نيسان/1948م، التي تم فيها تدمير أكبر قافلة مكونة من (250) سيارة متجهة من تل أبيب إلى القدس، ولم ينجُ من الصهاينة إلا القليل. ومن شهداء القرية خلال النكبة: مصطفى حمدان عبد الله، وعلي إبراهيم صرار، وعبد العزيز عثمان، وهنية بدوان عيسى، وصبحة جابر الدعامسة، ومحمد المساعيد، وأحمد زيادة[2]، ومن شهداء (ديرأبان) بعد سنة 1967م: كريم نعيم دعامسة، استشهد في 26 /10 /1989م، وجاد محمود عطا الله، استشهد في 8 /3 /2002م، وقصي سليمان الأفندي، استشهد في 28 /1 /2008م، وأحمد منير صدوق، استشهد في 19 /10 /2023م.

أهالي (ديرأبان) اليوم:

يعيش أهالي القرية المنكوبة هذه الأيام مشتتين لاجئين في أصقاع الأرض، ومعظمهم يقيمون في مخيمات فلسطين في الضفة الغربية، ومخيمات الأردن،

1. عارف العارف، النكبة والفردوس المفقود، 6 /69.
2. عبد العزيز أبو هدبا، قرية ديرأبان، ص373 –374.

ومنهم من يقيم في أمريكا، وأوروبا، والدول العربية، ولم يبقَ من الذين هجروا منهم سنة 1948م على قيد الحياة إلا القليل القليل، ولكن قلوبهم وقلوب أبنائهم وأحفادهم تصبو إلى قريتهم الحبيبة، وهم على موعد قريب بالعودة إن شاء الله.

إن كثيراً من أهالي القرية تميزوا في علمهم وعملهم، وأدوارهم الفاعلة في الحياة الفلسطينية والعالمية، وفي رفع شأن قريتهم ووطنهم، ومن هؤلاء المتميزين المبرزين:

- الدكتور يوسف راشد رشيد، كان أول طالب تعلم في المراحل الثانوية، حيث نقله والده من مدرسة إشوع بعد أن أنهى الصف السابع الابتدائي إلى مدرسة البيرة الثانوية، وأكمل تعليمه الثانوي في مدرسة الفرندز في البيرة، وحصل على شهادة الدكتوراه من أمريكا، وكان أول من ينال الدكتوراه من أبناء القرية.(*)

- الدكتور عدنان محمد الأفندي: ولد سنة 1971م، وأمضى (22) سنة في سجون الاحتلال الصهيوني، وهو أحد طلابي قبل (39) سنة، وحاصل على درجة الدكتوراه في القيادة والإدارة التربوية، وشهادة مترجم قانوني من العبرية إلى العربية وبالعكس، وشهادة تدريب مدربين من وزارة التعليم العالي، وشهادة تدريب مدربين دولية، ويعمل محاضراً في جامعات فلسطينية عدة، وله بحوث دولية عدة في التربية والعلوم السياسية.

- البروفيسور جودت أحمد سعادة المساعيد: يحمل درجة الدكتوراه في الفلسفة، ونشر أكثر من (25) كتاباً و(120) بحثاً، وشغل منصب عميد لكليات التربية في

* مقابلة مع الدكتور عدنان الأفندي في 25 /12 /2024م.

جامعات أردنية، وعميد البحث العلمي في بعض الجامعات العربية، وحاضر في أكثر من ثماني جامعات عربية، ومن كتبه: تدريس مهارة التفكير، وصياغة الأهداف التربوية والتعليمية، وتقويم المناهج بين الإستراتيجيات والنماذج، وأساليب تدريس الموهوبين.

- الأستاذ الشاعر محمد خليل شريم: وهو من مواليد سنة 1962م، هُجِّرت عائلته من قرية (ديرأبان)، ويقيم في مدينة الدوحة في محافظة بيت لحم، وهو مؤسس ومنسق عام جمعية منبر أدباء الشام، ورئيس مجلس إدارتها، وعضو الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، وأمين سر المنتدى الثقافي الإبداعي في بيت لحم، وله مجموعة من الدواوين الشعرية، منها: صدى الوطن، والوهج، وجواهر الحكمة في نظم كليلة ودمنة، وحمامة القسطل.

الخاتمة:

يهدف هذا المقال البحثي إلى المساهمة في حفظ الهوية والتاريخ والتراث الفلسطيني من الاندثار والضياع، ويؤكد أنّ قرية (ديرأبان) عربية فلسطينية، باقية ببقاء أهلها وصمودهم، وصبرهم، وإصرارهم على العودة إليها، مهما كلف ذلك من أثمان وتضحيات، وحالها في ذلك حال أكثر من (500) قرية فلسطينية أبيدت، وهدمت سنة 1948م، ولا يعرف عنها الكثير، وهي بحاجة إلى جهود الباحثين والمهتمين للكتابة عنها؛ لترسخ في أذهان الأجيال التي ولدت بعد النكبة.

اقرأ وتذكر

أ. إيمان تايه / رئيس قسم النشر والتوزيع/ دار الإفتاء الفلسطينية

مكانة بعض الأشخاص

قال تعالى: {وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاأَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ}(يوسف: 84)

* رغم أن كل أبنائه معه إلا يوسف ... بعض الأماكن لا يملؤها إلا شخص واحد، ذلك أنه لا يعوضه أحد.

احذر

قال تعالى: {وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ} (يوسف: 13)

* سمعوا كلمة ذئب من أبيهم، فاستخدموها في الحيلة، فلا تبين السهم القاتل في توجيهاتك التربوية.

أمل لا ينقطع

قال سبحانه: {يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}(يوسف: 87)

* فقد طفلاً قبل سنين، ويطلب البحث عنه!! إذا حدثوك عن الاحتمالات العقلية، فحدثهم عن الثقة بالله.

أعرض عن الجاهلية

{فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا} (يوسف: 77)

أحياناً قد تسمع كلمات جارحة من مقربيك، فتجاهلها، وأعرض عنها، ولا تستعجل الرد، ففي الكتمان خيرٌ عظيم.

قميص يوسف

* تكرر القميص في قصة سيدنا يوسف، عليه السلام، في ست آيات.

فكان سبباً للحزن، ودليلاً للبراءة، وبشارة فرح، فما قد يحزنك يوماً قد يكون سرورًا لك غداً..

أحسن القصص

* سُورة يوسف سُميت بِأحسن القِصص؛ لأنها السورة الوحيدة التِي بدأت بِرؤيا، وانتَهت بتحقيِق هذه الرؤيا، وكأن اللّه يُخبِرنا أن نتَمسك بأحلامنا، وتُعلمنَا بِأن المَريض سيشفى، والغَائب سيعُود، والحزِين سيفِرح، والكَرب سيرفع، وصاحب الهدف سيصِل، فليس هناك مستحيل في الحياة بقدرة الله.

تغير الخطاب بتغير المصالح ... وتبقى الحقيقة

قال تعالى: {فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}(يوسف: 63)

كانت لهم مصلحة فقالوا: {أَخَانَا}، وعندما انتهت قالوا: {ابْنَكَ}، قال تعالى: { يَاأَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ} (يوسف: 81)

ضاع حذاء طفل في البحر، فكتب على الشاطئ: "هذا البحر لص!"

وليس ببعيد عنه، كان هناك صيّاد اصطاد كثيراً من السمك، فكتب: "هذا البحر كريم!"

غرق شاب في البحر، فكتبت أمّه المكلومة: "هذا البحر قاتل!"

ورجل عجوز وجد لؤلؤة ثمينة، فكتب: "هذا البحر سخي!"

ثم جاءت موجة عالية، فمسحت كل ما كُتب، واستمرت الحياة.

هكذا هي الدنيا، كلٌّ يراها بعينه، يكتب ما يشعر به في لحظته، لكن الحقيقة أكبر من كل رأي.

فلا تشغل بالك بكلام الناس، عاملهم بأخلاقك لا بأخلاقهم، امسح الخطأ لأجل المحبة، ولا تمسح المحبة لأجل الخطأ، فَعندما تتعرض لإساءة: لا تُفكر "بأقوى رد" بل فكر "بحفظ الودّ" ، وفي النهاية؛ أخلاقك هي ما يبقى بعدك.

كلام من ذهب

* اغسل قلبك قبل جسدك، ولسانك قبل يديك، وأحسن الظن في الناس؛ الدنيا مدرسة، مديرها الزمن، أساتذتها القيم، وتلاميذها البشر، نتقابل غرباء، ونعيش أصدقاء، ومهما عشنا فيها لا يبقى إلا الوفاء؛ الضمير خير قائد، وحسن الخلق خير قرين، والعقل خير صاحب، والأدب ميراث.

* القرب من الله مفتاح كل الأبواب؛ وهو الطريق الأوحد نحو الطمأنينة والسكينة وراحة البال ؛ وهو من يملأ فراغات قلبك وروحك.

* ملابسك تزيّن ظاهرك، بينما ذكر الله جل في علاه يزين باطنك، فجميل أن يراك الناس أنيقاً؛ لكن الأجمل أن يرى الرحمن قلبك عامراً بذكره؛ أنيقاً بحبه.

أيامهم تاقت إلى أحلامهم

أ. زهدي حنتولي / دار الإفتاء الفلسطينية

دارت رحاها في مدى الأنظارِ ... والصوتُ دوّى وحشة الأشرارِ

وحشيةٌ مغلولةٌ أحقادها ... والليل يطفئُ ومضة الأقمارِ

طافت قوافي الشعرِ حول مدارها ... فأصابها قلقٌ من الأفكارِ

من أين تبدأ والمشاعرُ حالها ... أرقٌ على أرقٍ بقيد حذارِ

ما بال ذاك الصمتُ يعلي صمتهُ ... من أمّةٍ خرست بظلِّ شعارِ

نامت جفون العزم فيها خلسةً ... عن إخوةٍ قد أحرقوا بالنارِ

من دون مأوى حالهم بتشتتٍ ... ونزوحهم خطرٌ من الأخطارِ

عطشى بلا ماءٍ يرطّب حلقهم ... والجوع يفتكهم بمرِّ مرارِ

أيامهم تاقت إلى أحلامهم ... والحلم نومٌ آمنَ الأسحارِ

يبكون قهر الليل شوق حنينهم ... ما كان من ذكرى بركن ديارِ

ما بين فقد الأهل، قسوة رحلةٍ ... وبكاء جوعٍ وانطفاء نهارِ

لكنَّ فيهم للثباتِ عزيمةً ... تعلو على الآلامِ مثل منارِ

والحقُّ لا يُمحى وإن طال المدى ... سيعود للأحلامِ وجهُ نضارِ

باقة من نشاطات
مكتب المفتي العام
ودوائر الإفتاء في محافظات الوطن

إعداد: أ. مصطفى أعرج / مدير عام مكتب المفتي العام

المفتي العام يلتقي القنصل التركي العام في القدس

القدس: حذر سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية- خطيب المسجد الأقصى المبارك، من العدوان المبيت وحرب الإبادة والتهجير التي تقوم بها سلطات الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني في الأراضي الفلسطينية جميعها.

جاء ذلك خلال لقاء سماحته القنصل التركي العام في القدس المعتمد لدى دولة فلسطين إسماعيل تشوبان أوغلو، حيث أطلعه على الأوضاع الصعبة التي يعيشها أبناء الشعب الفلسطيني من إغلاقات، وتقطيع لأوصال الأراضي الفلسطينية، ومصادرة للأراضي، وهدم للبيوت، والقتل بدم بارد، إضافة إلى حماية المستعمرين المتطرفين الذين يهاجمون البيوت والأملاك الفلسطينية، ويحرقونها ويستولون عليها، ويعتدون على المواطنين الأبرياء العزل.

وطالب سماحته المجتمع الدولي بضرورة التحرك لوقف هذه الهجمات قبل فوات الأوان، مبيناً المخاطر التي تحدق بالمسجد الأقصى المبارك، ومحاولة المستعمرين المتطرفين المس به، وأن سلطات الاحتلال ماضية في العمل على تقسيم المسجد

الأقصى فعلياً وواقعياً، مشدداً على ضرورة الحفاظ على الوضع القائم في المسجد الأقصى المبارك، وهو للمسلمين وحدهم بقرار رباني، ولا يشاركهم فيه أحد.

وأعرب سماحته، عن شكره للجمهورية التركية رئيساً وحكومة وشعباً على مواقفهم الصادقة والنبيلة تجاه الشعب الفلسطيني ومقدساته.

بـــدوره، أثنى القنصل التركي على العلاقة الوطيدة التي تربط الشعبين التركي والفلسطيني، شاكراً سماحته على حسن الاستقبال، ومقدماً له الدعوة لزيارة القنصلية التركية في القدس.

مجلس الإفتاء الأعلى يرفض خطط تهجير أبناء شعبنا

القدس: رفض مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين مخططات تهجير شعبنا الفلسطيني في محافظات غزة، معتبراً هذه المخططات تطهيراً عرقياً مرفوضاً، ويتعارض مع مبادئ القانون الدولي، وهي تقوض حق العودة للاجئين الفلسطينيين، إلى أراضيهم التي هجروا منها عام 1948م، واعتبر المجلس أن الشعب الفلسطيني يعيش الآن في خطر وجودي لا يقتصر على محافظات غزة فحسب، بل في أماكن تواجده جميعها، وطالب المجلس بضرورة رصِّ الصفوف، ونبذ الفرقة باعتبارها طريقاً لمواجهة العدوان،

وبخاصة في هذه الظروف الصعبة، مبيناً أن الخاسر الأكبر من الفرقة هو الشعب الفلسطيني، وندد المجلس بالعدوان المستمر على محافظات طوباس وجنين وطولكرم، الذي يترافق مع الإغلاقات والحواجز والبوابات الحديدية التي وضعتها سلطات الاحتلال على مداخل المدن والقرى والمخيمات في أنحاء الضفة الغربية، ما أدَّى إلى تقطيع التواصل بين هذه التجمعات، مطالباً العالم أجمع بضرورة التحرك لوقف هذه الممارسات والانتهاكات التي تتعارض مع القوانين الدولية كافة، جاء ذلك خلال ترأس سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية – رئيس مجلس الإفتاء الأعلى للجلسة 225 من جلسات مجلس الإفتاء الأعلى بحضور أصحاب الفضيلة أعضاء المجلس من محافظات الوطن كافة.

المفتي العام يشارك في إحياء ذكرى الإسراء والمعراج

القدس: شارك سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك، في الاحتفال الديني الذي أقامته مديرية أوقاف القدس في المسجد الأقصى المبارك، بذكرى الإسراء والمعراج، وأكد سماحته على أهمية التمسك بالمسجد الأقصى المبارك، والدفاع عن القدس، باعتبارها أرض الإسراء والمعراج، مشدداً على رفض مخططات التهجير والاستيطان التي تستهدف تهجير الشعب الفلسطيني من أرضه، وأضاف قائلاً: عقدنا كمرابطين ومقيمين على حب الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، أن نكون دائماً أهل هذه الديار المباركة أهل ديار الإسراء والمعراج لا نغادرها ولا نبرحها، ولا نستبدل بها متاع الدنيا مهما عظم هذا المتاع، لأننا نؤمن بأن صفقة الله سبحانه وتعالى هي الرابحة، وأن التجارة مع الله سبحانه وتعالى هي الرابحة، وأن أي صفقة، سواء صفقة القرن، أو صفقة ترحيل أهل فلسطين كلها صفقات خاسرة، وستفشل على صخرة صمود ورباط هذا الشعب العظيم الذي رهن نفسه مرابطاً في سبيل الله سبحانه وتعالى، إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً، ووجه سماحته رسالة للأمتين العربية الإسلامية، شاكراً رفضهم لهذه الصفقة، ودعا الله سبحانه وتعالى أن يثبت الشعب الفلسطيني على الإيمان والصبر والرباط، وقد شارك في الاحتفال العديد من الشخصيات الرسمية والشعبية والدينية، بحضور جمهور غفير من المواطنين.

دار الإفتاء تطلق خطتها الإستراتيجية للأعوام الخمسة القادمة

رام الله: أطلقت دار الإفتاء الفلسطينية والمدرسة الوطنية الفلسطينية للإدارة الخطة الإستراتيجية للدار للأعوام 2025 – 2029م، بحضور سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، وموسى أبو زيد رئيس، ديوان الموظفين العام، رئيس مجلس إدارة المدرسة الوطنية الفلسطينية للإدارة، وتقدم سماحته بالشكر للمدرسة الوطنية والقائمين عليها على هذا المجهود الكبير في وضع هذه الخطة التي سيكون لها دور كبير في تحسين خدمات الدار وتطويرها، بما يخدم مصلحة الوطن والمواطن، بدوره أشاد أبو زيد بفريق العمل المشترك، الذي شارك في إعداد هذه الخطة، مبيناً أن المدرسة الوطنية تحرص على تطوير خطط ونشاطات الوزارات والمؤسسات، وأنها أصبحت عامل قوة في وجود الشعب الفلسطيني ومؤسساته.

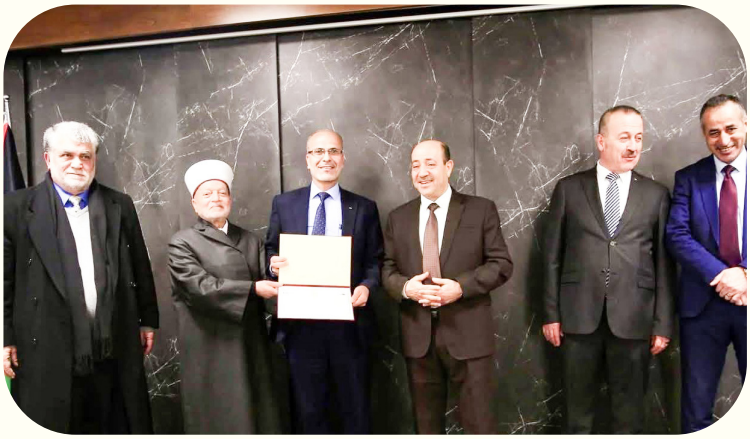

وقد حضر الحفل العديد من

الشخصيات الرسمية والشعبية والدينية، وتم في نهاية الحفل تكريم المشاركين في وضع هذه الخطة.

مفتي محافظة نابلس يشارك في العديد من الندوات ونشاطات أخرى

نابلس: شارك فضيلة الشيخ الدكتور أحمد شوباش – مفتي محافظة نابلس- في كثير من الندوات، تناولت كثيراً من الموضوعات حول شهر رمضان المبارك، والصمود والثبات على الأرض، وذلك في مقر اللجنة المحلية لتأهيل المعاقين، وجمعية المتقاعدين، وجمعية سفير، وجمعية المرأة التابعة للأقاليم، ومركز يعقوب لتحفيظ القرآن وتجويده، وفي مقر جمعية الحرية بجانب مسجد أبي بكر الصديق في المساكن الشعبية، داعياً فضيلته المواطنين إلى الصمود والثبات بعزيمة وإصرار مهما بلغت التضحيات.

كما شارك في وقفة تضامنية مع الأسرى وأهلنا في محافظات غزة، وشارك في الاجتماع التنفيذي للمحافظة، وزار المدرسة الإسلامية، وبحث سبل التعاون المشترك، واجتماع لجنة مركز فتوى التابع لكلية الشريعة في جامعة النجاح الوطنية، وفي الاجتماع الأول لمجلس المراجعة المؤسسية في جامعة النجاح الوطنية، وكان فضيلته قد ألقى العديد من خطب الجمعة والدروس

الدينية في مساجد المحافظة، وشارك في العديد من البرامج الإعلامية، وشارك في حل العديد من الخلافات والنزاعات العائلية والعشائرية.

مفتي محافظة بيت لحم يشارك في زيارة العديد من الأسرى المحررين ونشاطات أخرى

بيت لحم: شارك فضيلة الشيخ عبد المجيد العمارنة – مفتي محافظة بيت لحم- في زيارة العديد من الأسرى المحررين من سجون الاحتلال، وذلك ضمن وفد ضم العديد من الشخصيات الرسمية والشعبية، وقدم فضيلته للأسرى المحررين التهاني والتبريكات، داعين الله عز وجل أن يفرج عن الأسرى جميعهم من سجون الاحتلال، وكان فضيلته قد شارك في حفل إطلاق فعاليات أكاديمية لتطوير العلوم في جمعية الفينيق الخيرية، وألقى درساً على النزلاء في مركز التأهيل والإصلاح في المحافظة، وألقى العديد من الدروس وخطب الجمعة في مختلف مساجد المحافظة، وشارك في العديد من البرامج الإعلامية، وساهم في حل العديد من الخلافات والنزاعات العائلية والعشائرية.

مفتي محافظة أريحا والأغوار يشارك في جلسة حوارية ونشاطات أخرى

أريحا والأغوار: شارك فضيلة الشيخ حمزة ذويب – مفتي محافظة أريحا والأغوار- في جلسة حوارية بمناسبة اليوم العالمي للمرأة، وألقى فضيلته محاضرة بعنوان: "دور المرأة الفلسطينية في تعزيز الروابط الأسرية" في مقر محافظة أريحا والأغوار، وألقى محاضرة على نزلاء مركز الإصلاح والتأهيل في المحافظة.

واستقبل في مكتبه العميد أحمد أبو حميد، مدير مخابرات محافظة أريحا والأغوار، والسيد أحمد أبو فرحة نائب مدير التوجيه السياسي والوطني في المحافظة، والعقيد فواز اعمور، مدير فرع الخدمات الشرطية، حيث تم بحث التعاون المشترك بين الدار وهذه المؤسسات، وزار فضيلته مقر مديرية التربية والتعليم في المحافظة، والتقى مديرها الأستاذ أمجد الخضيري، وتم بحث سبل التعاون المشترك في توزيع إصدارات دار الإفتاء والمشاركة والكتابة في مجلة الإسراء، وألقى فضيلته دروساً عدة في مختلف مساجد المحافظة، وساهم في حل العديد من الخلافات والنزاعات العائلية والعشائرية.

مفتي محافظة قلقيلية يستقبل محافظها ويشارك في نشاطات أخرى

قلقيلية: استقبل فضيلة الشيخ الدكتور - يونس ياسين- مفتي محافظة قلقيلية- في مكتبه عطوفة محافظ قلقيلية، اللواء حسام أبو حمدة، الذي أشاد بأعمال دار الإفتاء وأهمية المفتي، داعياً إلى تعزيز التعاون المشترك، واستقبل فضيلته مختار عشيرة آل زيد السيد جمال زيد، الذي هنأ فضيلته بتوليه هذا المنصب، متطلعاً إلى التعاون المشترك، لما فيه خدمة الوطن والمواطنين، وألقى فضيلته العديد من الدروس الدينية في عدد من مساجد المحافظة.

مسابقة العدد 177

السؤال الأول: من .... ؟

1. الذي حجَّ أميراً على المسلمين في السنة التاسعة للهجرة
2. أمين سر النبي، صلى الله عليه وسلم، من الصحابة
3. أمين سر المنتدى الثقافي الإبداعي في بيت لحم
4. الشخص الذي يجوز الحج عنه
5. القنصل التركي العام الحالي في القدس المعتمد لدى دولة فلسطين
6. الرئيس الحالي لمجلس إدارة المدرسة الوطنية الفلسطينية للإدارة
7. **القائل:**

والحق لا يُمحى وإن طال المدى سيعود للأحلام وجه نضار

السؤال الثاني: من صاحب...؟

أ. كتاب إحياء علوم الدين

ب. كتاب المختصر في جغرافية فلسطين

ت. رسالة: "الأسباب والأعمال التي يضاعف بها الثواب"

السؤال الثالث: ما...؟

1. المراد بالاسوداد في قوله تعالى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ...}
2. أرجح الأقوال في حكم أخذ المضحي شيئاً من شعره أو أظفاره
3. حكم الإحرام من جدة لمن أنشأ النية فيها
4. حكم طواف الزيارة
5. شروط إباحة سفر المعتدة من وفاة لأداء الحج
8. فضل الصلاة في المسجد النبوي عن غيره من المساجد
6. **معنى:**

أ. (باسرة) في قوله تعالى: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ}

ب. (زلفة) في قوله تعالى: {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً}

ت. (تلفح)

7. قطعاً في قوله تعالى: {قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ} ومفردها

السؤال الرابع: أجب بـنعم أو لا... ؟

1. الحمس هم المشددون على أنفسهم، وكانوا يقفون بمزدلفة وبقية الناس بعرفة
2. ورد الخطاب بـ {يا أيّها النّاس} ثلاثين مرة في القرآن الكريم
3. خشوع الوجوه في قوله تعالى: {وجوه يومئذ خاشعة} خشوع تقوى وتوقير وإجلال
4. المدينة كالكير تنفي خبثها، وينصع طيبها
5. وقع تعارض ظاهري بين عائشة وأم سلمة، رضي الله عنها، في صيام عشر ذي الحجة
6. كف المضحي عن الأخذ من شعره يبدأ وقته عند الجمهور من أول العشر
7. نزل قوله تعالى: {ولله على النّاسِ حِجُّ البَيْتِ} في آخر العام العاشر الهجري
8. العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما
9. الدين الحال يمنع من لزوم الحج
10. تكرر ذكر لفظ القميص في قصة سيدنا يوسف، عليه السلام، في خمس آيات.

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

جوائز المسابقة

قيمتها الكلية 1500 شيكل

موزعة على ستة فائزين

بالتساوي

ملحوظات :

- تُرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف وكتابة الإجابات بخط واضح .
- إرفاق صورة الهوية الشخصية مع إجابات مسابقات المجلة للضرورة.
- ترسل الإجابات إلى العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد **177**

مجلة الإسراء / الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام

دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 القدس الشريف - ص.ب : 1862 رام الله

إجابة مسابقة العدد 175

السؤال الأول: من .... ؟

1. يونس، عليه السلام
2. عروة بن مسعود الثقفي

السؤال الثاني: من الصحابي الذي...؟

1. أسامة بن زيد
2. أبو ذر الغفاري

السؤال الثالث: من القائل...؟

1. الرسول، صلى الله عليه وسلم
2. عمر بن الخطاب
3. المتنبي
4. أبو بكر الصديق
5. الشافعي
6. الشافعي
7. أبو الحسن التهامي

السؤال الرابع: ما...؟

1. طاهر
2. الإبل والبقر والغنم
3. أنها تؤذي جيرانها بلسانها
4. قال: إذاً قصر عمر الظالم
5. صادق الوعد

السؤال الخامس: ما معنى...؟

1. مات
2. السير ليلاً
3. ضلت وانهمكت في الشر
4. رفع العقد، وإلغاء حكمه وآثاره، بتراضي الطرفين
5. أن يزيد في ثمن السلعة من لا يرد شراءها ليغري المشتري بالشراء

السؤال السادس: أجب بـنعم أو لا... ؟

1. لا
2. نعم
3. لا
4. نعم
5. لا
6. نعم
7. لا
8. لا
9. نعم
10. لا

الفائزون في مسابقة العدد 175

الاسم	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
هبة محمد هماش	بيت لحم	250
سمير محمود عبد ربه سماره	بيت لحم	250
عايشة محمد أبو الهوى	القدس	250
محمد سعيد عطا الله صالح	رام الله	250
ليث شوكت مسلم	نابلس	250
عمر رضا محمد القاسم	طولكرم	250

ضوابط تنبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه إلى أصحاب الفضيلة العلماء وأصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين أن يثروا مجلتهم بالكتابة، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصل مشاركاتهم من خلال المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية الهادفة، إضافة إلى ملحوظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية وغيرها، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عبر البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن (1500) كلمة، والبحث عن (3000) كلمة.
3. كتابة نصوص الآيات مع تشكيلها، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث من مظانها المعتبرة، وأن تكون مشكَّلة، وصحيحة، ويلزم بيان رأي علماء الحديث في مدى صحتها إن لم تكن مروية في صحيحي البخاري ومسلم.
5. التوثيق عند الاقتباس سواء من الإنترنت أم الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية أو حواش سفلية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

مع التنبيه إلى ضرورة تجنب إرسال مقالات أو أبحاث سبق نشرها، سواء في مجلة الإسراء أو غيرها، إضافة إلى الامتناع عن إرسال مقالات منسوخة عن مجلات أو مواقع إلكترونية

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس: مجلة الإسراء / فاكس: 6262495 ص.ب: 20517

الرام : تلفاكس: 2348603 ص.ب 1862

E.mail : info@darifta.ps - israa@darifta.ps